

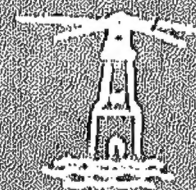
مكتبة الدراسات الأدبية

٨٠

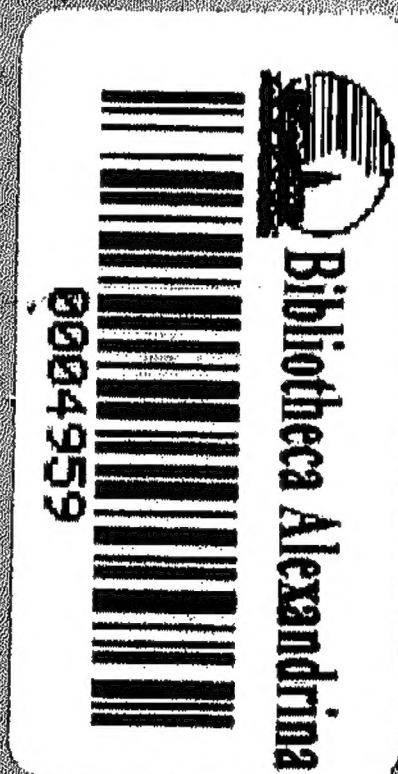
الدكتورة فاطمة محبوب

قضية الزمن في الشعر العربي

الشباب والمشيب



دار المعارف



89



6394

N C

897-71

009

سج
ي



General Organization of the Alexandria
Library (G.O.A.L.)

St. Mark's Coptic Monastery

قضية الزمن في الشعر لعزى الشباب والمشيب

897.715

9

8.8 م

و

مكتبة الدراسات الأدبية

٨٠

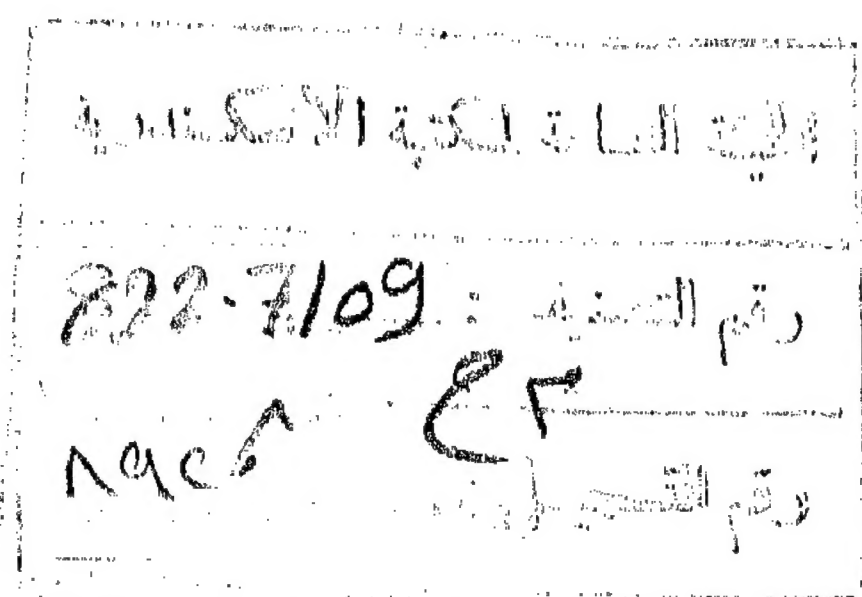
قضية الزمن في الشعر لعزى الشباب والمشيب

تأليف

الدكتورة فاطمة محبوب



دار المعارف



الناشر : دار المغارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

المحتويات

| صفحة | |
|-----------|--|
| ٢٤ - ٧ | مقدمة |
| ٢٦ - ٢٥ | الباب الأول : ألا ليت الشباب يعود يوماً |
| | الفصل الأول : الشباب |
| | ١ - أ مرحلة الشباب ، ١ - ب مدح الشباب ، ١ - ج ذم الشباب ، |
| ٤٠ - ٢٧ | ١ - د البكاء على الشباب |
| | الباب الثاني : فأخبره بما صنع المشيب |
| ٤٢ - ٤١ | ٤٢ - ٤١ |
| | الفصل الثاني : المشيب |
| | ٢ - أ حلول المشيب ، ٢ - ب ذم المشيب ، ٢ - ب - ١ سوء منظره ، |
| | ٢ - ب - ٢ المشيب محنة ، ٢ - ب - ٣ المشيب عيب وذنب وهم ، |
| | ٢ - ب - ٤ المشيب طريق الردى ، ٢ - ج عزوف الغواني وتعييرهن ، |
| | ٢ - د الدفاع عن المشيب ، ٢ - د - ١ تحسين المشيب ، ٢ - د - ٢ |
| ٨٨ - ٤٣ | حتمية المشيب ، ٢ - د - ٣ الشيب المبكر |
| | الفصل الثالث : مقاومة المشيب : الخضاب |
| | ٣ - أ استحسن الخضاب والحض عليه ، ٣ - ب استهجان الخضاب |
| ٩٦ - ٨٩ | ورفضه ، ٣ - ج ضرورة الخضاب ، ٣ - د عدم جدوى الخضاب |
| | الفصل الرابع : الاستسلام للواقع : آيات الكبر |
| ١٢٢ - ١١٥ | ١٢٢ - ١١٥ |
| ١٤٢ - ١٢٣ | الباب الثالث : تلخيص |
| | الباب الرابع : البحترى وقضية الزمن |
| ١٤٧ - ١٤٣ | ثبت مصادر الشعر |

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(١)

أ - ١ :

إن قضية الزمن قضية كل حي ؛ إذ إنها تتصل بحياة الإنسان على الأرض ؛ فهو يولد طفلاً ، ثم يبلغ أشده ، فإذا امتد به العمر خط المشيب رأسه ، ثم يصيبه الكبر ويصير شيخاً ، وهو إن عمر نكسه الله في الأرض فلا يعلم بعد علم شيئاً .

ويحدثنا القرآن الكريم في عدد من الآيات عن مراحل حياة الإنسان على الأرض فيقول تعالى : « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً » (غافر ٦٧) ويقول تعالى : « ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مُّسَمًّى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » (الحج ٥) ويقول تعالى : « ومن نعلمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون » (يس ٦٨) ونجد في هاتين الآيتين الأخيرتين إشارة إلى التغيرات النفسية والعقلية التي تحل بالإنسان حين يتقدم به العمر .

وهذه التغيرات النفسية والعقلية تأتي مصاحبة للتغيرات الجسدية من مشيب يخط الرأس وضعف يدب في الجسم . ويشير القرآن الكريم إلى هذا كله فيقول تعالى : « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (الروم ٥٤) .

وهذه الحقائق قد تضمنها نداء زكريا ربه حيث يقول تعالى : « قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً » (مريم ٤) ويشير القرآن الكريم في مواضع أخرى بكلمة « شيخ » إلى ما يعتري الإنسان في كبره من عجز وضعف فيقول تعالى على لسان ابنتي شعيب : « قالتا لانسق حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير » (القصص ٢٣) ويقول تعالى على لسان إخوة يوسف : « قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه » (يوسف ٧٨)

كذلك يشير القرآن الكريم إلى حقيقة أخرى تتصل بالمشيب ، ألا وهي المشيب قبل الأوان فتشتعل به الرأس حين يتعرض الإنسان للمحن والأهوال فيقول تعالى : « فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً » (المزمل ١٧) .

وإذن فقضية الزمن تنحصر في الشباب والمشيبي والكبر ، شباب سرعان مايولى إذ هو ثوب معار سرعان مايعرى منه المرء ، كما يعرى من الورق القضيبي (انظر البيت رقم ١٠٩) ، ومشيبي يحيل السواد الذى يصحب الشباب بياضاً ، وكبر يأتى فى أعقاب المشيب .

ولما كان المشيب هو العلامة الظاهرة لهذا التغير فى حياة الإنسان فإن لفظه يستخدم للدلالة على جميع المراحل التى تعقب تولي الشباب ومن هنا كان المشيب محنة إنسانية يمر بها الناس من كل لون ودين ، ويحسون آثارها فى أنفسهم ، وفيمن يحيط بهم من أهل وأقارب وأحبة . ولذلك نجد أن من وخط المشيب رأسه لا يفتأ يتحسر على الشباب ، ويذكر أيامه ، ويتمنى عودته ، ويحسد الشباب على ما يتفجرون به من قوة ؛ كما أنه يكره المشيب ، فهو لا يفتأ يذكره بسوء لأنه يرتبط فى وجدانه وأمور عدة كلها بغىض إلى نفسه : فهو يقطع عليه طريق الاستمتاع بالحياة كما يستمتع بها الشباب ، وهو يفرض عليه قيوداً فى السلوك ، ووقاراً هو أزهى الناس فيه ؛ كذلك فإن المشيب يرتبط فى وعيه وقرب ذنو الأجل فهو يرى فيه نذير المنية .

فإذا كان هذا هو شعور الإنسان العادى فما بالك بالشعراء وهم على ما هم عليه من حس مرهف ، ومن ظمأ إلى الجمال الذى يستلهمون منه أشعارهم ، ذلك الجمال الذى ينفر من المشيب حين يزحف على الرأس ؛ كما يزحف النهار على الليل ! وإن الشاعر ليحزن أشد الحزن وهو يرى مافعله به المشيب من هزء الغوانى وملامتهن ، وصدودهن بعد إقبالهن ، وذهاب المرح من حياته وحلول الترح ، وزحف الأمراض والعلل ، وظهور آيات الكبر ، لذلك كله نجده يمدح الشباب ويكثر من البكاء عليه ، ويذم المشيب ويشكو مافعله به ، ويشكو إعراض الغوانى ويحاول جاهداً إقناعهن بالعدول عن الصدود والملامة ، ويدافع مستبسلًا عن المشيب معدداً محاسنه ومزاياه ، ونجده يتحدث عن الخضاب باعتبار أنه قد يكون حلاً لمشكلة الزمن !

وإن الباحث لتأخذه الدهشة من هذا الفيض من الشعر العربى الذى يتناول الشباب والمشيبي : فالشاعر العربى قد يبدأ قصائده بذكر أحدهما أو كليهما ، أو يضمهما أبياتاً تتعلق بالشباب والمشيبي وآيات الكبر ، وقلما تخلو قصيدة من ذكر هذا كله ، سواء كان تصريحاً أم مجازاً . وقد قال عمرو بن العلاء : « ما بكت العرب شيئاً ما بكت على الشباب ، وما بلغت به ما يستحقه »

وقال الأصمعي : « أحسن أنماط الشعر في المراثي والبكاء على الشباب » (العقد الفريد ٣٥١/٢) وهذا الذي يتناوله الشعراء في قصائدهم إنما يعبر عن الأفكار التي تدور في أذهان الناس ويتداولونها في مجتمعاتهم : فمدح الشباب أو ذمه أو التحسر عليه ، وذم المشيب أو مدحه ، والتحدث عما يصيب الجسم من ضعف ووهن ، ومن أمراض وعلل يأتي بها الكبر - كلها أمور يخوض الناس فيها في أحاديثهم اليومية ، كما يجدونها مكتوبة عندهم في بطون الكتب : فمن مدح الشباب ما جاء في اللطائف والظرائف / ١٠٦ من قول الصولي في كتاب « فضل الشباب على المشيب » الذي ألفه للمقتدر :

« الشيب لا يقدم مؤخراً ولا يؤخر مقدماً ، بل ربما عدل بجلال الأمور ومهمات الخطوب عن المشايخ إلى الشبان لاستقبال أيامهم ، وسرعة حركاتهم ، وحدة أذهانهم ، وتيقظ طباعهم ؛ لأنهم على ابتناء المجد أحرص ، وإليه أصبى وأحوج » وقال بعض البلغاء :

« الشباب باكورة الحياة ، وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها »

ومن ذم الشباب ما جاء في المرجع نفسه (ص ١٠٨ - ١٠٩) قولهم :

إن الشباب مطية الجهل ، ومظنة الذنوب ، وشعبة من الجنون ! ويقال : سكر الشباب أشد من سكر الشراب ! وقال ابن المعتز : « جاهل الشباب معذور وعالمه محذور ! وكان يقول : « نعوذ بالله من ترهات الشبان ونزغات الشيطان »

أما مدح المشيب فقد كان العرب يقولون فيه : « الشيب حلية العقل ، وسمة الوقار » وكان يقال : « الشيب زبدة مخضتها الأيام وفضة سبكها التجارب » . وكان بعض الحكماء يقول : « إذا شاب العاقل سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب » ووصف بعض البلغاء رجلاً شاباً وارعوى عن مجاهل الشباب فقال : « ذاك قد عصى شياطين الشباب وأطاع ملائكة الشيب » .

وقال ابن المعتز : « عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك ، ورحم الصغير فإنه أغرّ بالدنيا منك » وكان يقال : « الشيخ يقول عن عيان ، والشاب عن سماع » (اللطائف والظرائف ١٠٨) . ونقرأ في المرجع نفسه أن للبديع الهمداني فصلاً في مدح الشيب وذم الشباب يقول فيه : « جرى الله المشيب خيراً ، فإنه أناة ، ولاردّ الشباب فإنه هنات ، وبئس الداء الصبا ، وليس دواؤه إلا انقضاءه ، وبئس المثل النار ولا العار ، ونعم الراكضان الليل والنهار ، وأظن الشباب والشيب لو مثلاً لكان الأول كلباً عقوراً ، والآخر شيخاً وقوراً ، ولاشتعل الأول ناراً واشتدّ الآخر نوراً ،

فالحمد لله الذى بيّض القار ، وسماه الوقار ، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ! إن السعيد من شابت جملته ، ولم تخصّ بالبياض لحيته »

وأما عن ذم المشيب فيروى لنا صاحب العقد الفريد (٣٤٨/٢) أنه جاء في الحكم : « كفى بالشيب داء » وقال أعرابي : كنت أنكر البيضاء ، فصرت أنكر السوداء ، فياخير مبدول وياشر بدل ! » وقال القاحم : « الشيب ناهى الشباب ورسول البلاء » وقال يونس النجوى : « الشيب مجمع كل عيب (اللطائف والظرائف ١٠٩) ونقرأ في عيون الأخبار (٣٢٤/٢) أن إياس بن قتادة رأى شعرة بيضاء في لحيته فقال : أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته ؛ أعوذ بك من فجاءات الأمور ، يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي » ولزم بيته .

وعن الشيب المبكر بسبب الحن والأهوال يروى لنا صاحب العقد الفريد (٣٤٨/٢) أنه قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ! قال شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن ! ونعلم من المرجع نفسه أن الشيب المبكر قد يكون بسبب الانغماس في اللهو والباطل ؛ فقد قيل لرجل من الشعراء : عجل عليك الشيب ! فقال : وكيف لا يعجل وأنا أعصر قلبي في عمل لا يرجي ثوابه ولا يؤمن عقابه !

ويتحدث الناس عن أن الشيب عند بعضهم قد يكون وازعاً ورادعاً ، فقد قال أعرابي : كنت في شبابي أعضّ على الملام عضّ الجواد على اللجام ؛ حتى أخذ المشيب بعناني ! ويرى الناس أيضاً أن الشيب نذير الكبر فيقول النيرى : الشيب عنوان الكبر .. ويسأل أعرابي عن سبب اشتعال شيبه فيقول : هذا رغبة الشباب ! وعن الضعف والوهن ومقومات الكبر ينشئنا صاحب العقد الفريد (٣٥٧/٢) أنه قيل لأعرابي قد أخذته كبرة السنّ : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت تقيّدني الشعرة ، وأعثر بالبعرة ! قد أقام الدهر صعرى بعد أن أقتّ صعره ؛ كما ينشئنا (ص ٣٦١) أن أبا عبيدة قال : قيل لشيخ ما بقى منك ؟ قال : « يسبقني مَنْ أمامي ، ويدركني من خلفي ، وأذكر القديم ، وأنسى الحديث ، وأنعس في الملا ! وأسهر في الخلا ! وإذا قمت قربت الأرض مني ، وإذا قعدت تباعدت عني ! وهذا القول شبيه بما أنجده في الموسوعات الطبية من وصف لآيات الكبر .

كذلك نقرأ في البيان والتبيين ٤٦٤ أن بعضهم قال : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة ، وأن العتبي قال : الشيب مجمع الأمراض .

أما عن كون الشيب نذير المنية فنقرأ في العقد الفريد (٣٤٧/٢) أن قيس بن عاصم قال :
 الشيب حطام المنية ؛ وأن المعتمر بن سليم قال : الشيب موت الشعر ، وموت الشعر علة لموت
 البشر ؛ كذلك نقرأ في اللطائف والظرائف ١٠٩ أن الحجاج قال : الشيب يريد الموت ! وقال
 مالك بن أنس : الشيب توعم الموت ، وقال العتابي : الشيب نذير المنية ؛ وقال ابن المعتز :
 الشيب أول مواعيد الفناء ! وقال غيره : الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب من الساحل !
 وقال ابن عائشة : الشيب قناع الموت ؛ وقال ابن شكلة : الشيب إحدى الموتتين ! ونقرأ في البيان
 والتبيين ٣٧٨ قول بعضهم : الشيب نذير الآخرة ، وقول المعتمر بن سليمان : الشيب أول مراحل
 الموت ! وقول السهمي : الشيب تمهيد الحمام !

وهذا الذي سردناه من أقوال الناس وأقوال الحكماء والمشهورين هو في معظمه ماتناوله الشعراء
 العرب في أشعارهم . ولما كانت المادة الشعرية في هذا المجال غزيرة كل الغزارة فقد رأينا أن نكتفي
 بعدد محدود يبلغ ١٣٠٢ نموذجاً وجدنا أنها تتضمن كل تلك المعاني ، ومن ثم فقد وجدنا أن
 عرض المزيد من تلك النماذج لن يسفر عن إضافة جديدة لتلك المعاني التي استخلصناها من
 النماذج التي اتخذناها أساساً للبحث ، وقد بلغ مجموع النماذج بما فيها الباب الخاص بالبحر
 ١٥٧٠ بيتاً .

أ - ٢ : منهج البحث :

وإذا نحن حاولنا أن نحدد إطاراً عاماً نضع فيه موقف الشاعر العربي ، بل موقف الإنسان بوجه
 عام من قضية الزمن - فلن نجد خيراً من بيت من الشعر جمع من المعاني ما يكفي ، لكي يمدنا بمادة
 غزيرة تكون أساساً لأي بحث يتناول تلك القضية ، هذا البيت الجامع هو قول أبي العتاهية
 (٤٢٩/٨)

١ ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما صنع المشيب !

والواقع أننا نجد أن هذا الإطار العام ينطبق على الشعر على مستوى الشعراء ، أو مستوى الشاعر
 الواحد (كالبحر مثلاً) وعلى مستوى القصيدة الواحدة ، بل أحياناً البيت الواحد .
 إن صدر هذا البيت الذي نحن بصددده ، والذي نبدأ به قائمة النماذج يتضمن بكاء الشاعر على
 شبابه ، وتحسره على ذهابه وتمنيه عودته ، ومن ثم جعلناه عنواناً للباب الأول من هذا الكتاب

ببحث يشتمل على ما استطعنا جمعه من نماذج تتناول هذه المعاني .

أما عجز البيت فقد جعلناه عنواناً للباب الثاني ، لأنه يجيب على السؤال الذي هو لب قضية الزمن ، ألا وهو : ماذا يفعل المشيب بالإنسان ؟ وإن عجز هذا البيت لمن البلاغة بحيث إنه يتيح للمرء أن يدرج تحته مئات من المشكلات التي تبدأ مع المشيب ، وهذا ما جعلنا ندرج تحته باقي فصول الكتاب .

فالفصل الثاني يتناول المشيب بالوصف ، وما جاء في الشعر العربي فيه من مدح أو ذم ، ودفاع الشاعر عنه .

أما الفصل الثالث فيقدم لنا وسائل مقاومة المشيب ومحاولة حل مشكلاته عن طريق الخطاب ، بيد أنه حين يتيقن الشاعر أنه لا جدوى من الدفاع أو المقاومة يستسلم للأمر الواقع ، حيث أصبحت آيات الكبر ظاهرة يتعذر إخفاؤها ، وهو ما يتناوله الفصل الرابع .

ولما كنا قد عثرنا على مجموعة من القصائد لعدد من الشعراء يجتمع في كل منها كل أو جل المعاني التي استخلصناها فقد رأينا أن نقدمها في باب مستقل هو الباب الثالث بحيث تكون بمثابة تلخيص للمادة الشعرية وما جاء بها من معان .

كذلك وجدنا أن البحترى يكثر من ذكر الشباب والمشيب كثرة تسترعى نظر الباحث بحيث يمكن القول : إن معظم قصائده ، وبخاصة قصائد المدح - تبدأ بأبيات عن الشباب أو المشيب ، أو تتضمنهما في ثناياها ، لذلك رأينا أن نفرده باباً خاصاً هو الباب الرابع . وقد تخيرنا منها ٢٦٨ بيتاً اختتمنا بها هذا الكتاب .

وجدير بالذكر أن المعاني التي يتناولها البحترى ، والمصاحبات اللفظية التي يستخدمها لا تكاد تخرج عن تلك التي أحصيناها ، وصنفناها في فصول هذا الكتاب . وقد أوردنا تلك الأبيات متبعين الترتيب الذي اتبعناه نفسه في تقسيم فصول الكتاب ، غير أننا اكتفينا بإدراجها تحت عناوينها دون تعليق تجنباً للتكرار .

وبعد هذا كله أوردنا للبحترى مجموعة من الأبيات تضم معظم المعاني التي حددناها ، وذلك لكي تكون بمثابة تلخيص لها .

وقد راعينا في سرد نماذج الشعر أن نكتب المصدر بين قوسين يضمن رقمين أو أكثر ، فإن كانا

رقمين فالأول يفيد ترتيب المصدر في قائمة ثبت المراجع التي جاءت بآخر الكتاب ، والرقم الآخر يدل على الصفحة التي أخذ منها النموذج : مثال ذلك البيتان رقما ١١٨٤ ، ١١٨٥ وهما لحسان بن الغدير : فقد جاء التعريف بالمصدر هكذا : (٥٠٣/٨) وهو يفيد أن المصدر هو رقم ٨ في قائمة ثبت المراجع (وهو البيان والتبيين) وأن الرقم ٥٠٣ هو رقم الصفحة التي نقلناها منها البيتين المشار إليهما . أما إذا كان المصدر يتكون من أكثر من جزء أو قسم فإن رقم المصدر يأتي أولاً ، ثم رقم الجزء ، ثم رقم الصفحة : فمثلا ٣٧٠/٣/١٢ : تعني أن نموذج الشعر قد أخذ من رقم ١٢ في ثبت المراجع ، وهو في هذه الحالة « معادن الجواهر » والجزء الثالث صفحة ٣٧٠ ، ويلاحظ أن الأرقام يفصل بينها خط مائل .

كذلك فقد راعينا في ترتيب نماذج الشعر أن نعطي كلا منها رقماً مسلسلاً يستدل به عليه ، فإذا دعت الضرورة إحالة القارئ إلى واحد أو أكثر من تلك النماذج فإن رقمه يوضع بين قوسين ، وإذا دعت الضرورة إلى إعادة ورود بيت أو أبيات بعينها فإنها في تلك الحالة لا تُعطى رقماً جديداً ، وذلك حتى تظل مرتبطة بالرقم الأصلي الذي أعطيته عند ورودها لأول مرة ، مثال ذلك : بيت أبي العتاهية الذي اتخذناه إطاراً لبحثنا ، فقد ورد أول مرة تحت رقم (١) ولكن دعت الضرورة إلى وروده مرة أخرى مع بيت سابق له ، وذلك في ١ - فلم نعطه رقماً ، ويلاحظ أن الأرقام إذا زادت عن رقم فإنه يفصل بينها بفواصل تمييزاً لها عن الأرقام الدالة على المصدر . ويجدر التنويه إلى أنه قد أجريت بعض التغييرات حيثما وجد أحد الأبيات مختلف الوزن ويمكن للقارئ دائماً أن يرجع إلى المصدر للتحقق من الأصل ، ويرجع الفضل في هذه التغييرات إلى دقة الأستاذ المراجع بدار المعارف وسعة اطلاعه .

أ - ٣ : مادة البحث :

إن الشعر الذي يتناول قضية الزمن ، والذي تتضمنه فصول هذا الكتاب إنما يتناول الشباب والمشيبي تناولاً مباشراً واقعياً ، وهو - وإن تضمن جوانب بيانية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية - إن هذا كله لما يتصل بحقيقة الشباب والمشيبي أو بالتجربة الذاتية للشاعر . غير أننا وجدنا أن اهتمام الشاعر بقضية الزمن يجعله حين يعمد إلى الوصف البياني كالتشبيه مثلاً فإنه يجعل المشبه به هو الشباب أو المشيبي أو ما يدل على كل منهما من سواد وبياض وغير ذلك ، ومن ثم فقد رأينا أن يكون مكان مثل تلك الأبيات هو المقدمة .

فمن حيث الشباب نجد أن الشعراء حين يصفون شيئاً يكون ذا رونق وبهاء - فإنهم يصفونه
بالشباب : كقول ابن الرومي في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره (٢٦٩/١٣) :

٢ بلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصبا ولبستُ ثوبَ اللّهُ وهو جديّدٌ

٣ فإذا تمثل في الضمير رأيتُه وعليه أغصانُ الشبابِ تميّدُ

كما أنهم يشبهون ما يستحسنونه بالعيش في زمن الصبا : كقول الواواء الدمشقي
(٤٣٦/٥/٤) :

٤ يطوف براح ريحها ومذاقها نسيمُ الصّبا والعيشُ في زمنِ الصّبا

وقول البحتري يمدح أحمد بن سليمان ابن أخت أبي صقر (٢٢٢١/٤/٤٦) ، البيت ٣٢ ،
وهو آخر أبيات القصيدة) :

٥ يذكّرنا لُبسُ نعلائِهِ لباسُ الشبابِ وريحانِهِ

وقوله (٢١٣٧/٤/٤٦ - ٢١٣٨) :

٦ أيام رأسي كالغراب أسحمة يُتيمُّ الرِّيمَ ولايتيِّمة

كذلك فإن الشعراء حين يريدون مدح شيء أو تعظيمه - يصفونه بأنه يردُّ المرء إلى اقتبال
شبابه : كقول أبي العلاء المعري من قصيدته التي يجيب فيها شاعراً مدحه يعرف بأبي الخطاب
الجبليّ (٧٢٦/٢/١١) :

٧ وهزّزتَ أعطافَ الملوكِ بمنطقي رَدَّ المُسنِّ إلى اقتبالِ شبابِهِ

وفي هذا المعنى يقول ابن سناء الملك (١٤٢/٢٧) :

٨ أعاد شبيبتي بعد المشيبِ وأمسى مسقماً وغداً طيباً

ويقول حافظ إبراهيم (٢٣١/٢٤) :

٩ وَرَدُّوا على الإسلام عهدَ شبابِهِ ومدّوا له جاهاً يَرْجَى وَيُرْهَبُ

ويُقرن الشباب والمشيب فيما يضرب الشعراء من أمثال ، من ذلك قول الشاعر (٢٢٢/٨) :

١٠ سواء كأسنان الخمار فلا تری لدى شبيبة منهم على ناشئ فضلاً

وقول آخر (٢٢٢/٨) :

١١ شبابهم وشيبيهم سواء فهم في اللون أسنان الحمار
وفي مجال التحسر على الشباب نجد السرى الرقاء يضرب مثلاً بذكر الشيوخ شبابها فيقول
(٩٥١/١٠/٤) :

١٢ ألاحظها لحظ الطريد محلّة وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

وفي هذا المعنى يقول أبو محمد الحسن التنيسي (٥٩٦/٧/٤) :

١٣ طربت نفسي إليه وإلى طيب اقترابه

١٤ طرب الشيخ إذا ذكر م أيام شبابه

ونجد الشعراء يشيرون إلى مرور الزمن بوصف برد الشباب بأنه قد بدأ يخلق ، فنسمع السرى
الرقاء يقول (٩٣٤/١٠/٤) :

١٥ وقطعت الشباب فيه إلى أن هم برّد الشباب بالإخلاق

ونجدهم في وصفهم يزاوجون بين الشباب والليل إشارة إلى سواد الشعر ، فيقول أبو العلاء
المعري من قصيدة له يهني بزفاف (٨٥٥/٢/١١) :

١٦ نال شباباً مستقبلاً تهرّم دنياء ولا يهرّم

وهو يعني هنا أن الليل (وهو سواد) بما كان فيه من الزفاف يبقى على مر الدهور شباباً (وهو
سواد) لا يمسه هرم وإن هرم الدهر.

ويقول أبو القاسم الزاهي (٣٧٨/٤/٤) :

١٧ ما كنت أحسب أن أعين أوارى تخطيط ليل في بياض نهار

فهو قد مثل السالف بالليل والوجه بالنهار.

ويقول أبو عليّ بن معد صاحب مصر (٦٨٧/٨/٤) :

١٨ واذا لمّتي لم يوقظ الشيب ليلها واذا أترى في الغانيات حميد

وهم حين لا يذكرون لفظ « الليل » يشيرون إليه بلفظ « الظلماء » ، كقول أبي العلاء المعري
في مطلع قصيدة يحجب فيها الشريف أبا إبراهيم عن قصيدة له (٤٢٩/١/١١) :

١٩ فكأنى ما قلت والبدر طفل وشباب الظلماء في العنفوان

- وهم يشيرون إلى الشباب بالسواد ، كقول أبي الفرج العجلى (١٥٧/٢/٤) :
- ٢٠ وهوأ يدبّ في كل قلب كدبيب السّواد في عارضيه
- ويتخذ أبو العلاء المعري من أول السن وآخرها مجالاً للمقارنة فيقول (١٦٧/١/١١) :
- ٢١ والحمد والكبر ضدّان اتفاقهما مثل اتفاق فتاة السن والكبر
- أما عن المشيب فنجد نماذج كثيرة لاستخدامه استخداماً بيانياً فمن أمثلتها : قول أبي العلاء من قصيدة يمدح بها الشريف أبا إبراهيم العلوي ، ويشبه فيها الرخم الأبيض فوق الغبار الأسود بالشعرات البيض في مفارق أسود (٣٦٤/١/١١ ، البيت ٢١) :
- ٢٢ كأنّ الأنوق الخرس فوق غباره طوالع شيب في مفارق أسود
- وقوله أيضاً (٤٣٨/١/١١ ، البيت ١٧) :
- ٢٣ ثم شاب الدجى وخاف من الهجر م فغطّى المشيب بالزعفران
- وفي درعته السادسة يشبه المعري بياض الدرع وبياض السيف بالمشيب فيقول :
- (١٧٧٨/٤/١١ ، البيت ١١) :
- ٢٤ ومرت شيبها فلاق مشيب السيف م ذلاً أن مسّ منها قتيلاً
- ويقول البحتري من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي (١٩٩١/٣/٤٦ ، البيت ٢٩) :
- ٢٥ في شُعلة كالشيب لاح بمفرق غزل لها عن شبيه بغيره
- ويقول أحمد شوقي من أبيات له في وصف قصر أنس الوجود وقد كادت المياه تغرقه (٤٠٥/١٣) :
- ٢٦ شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون مازال غضاً
- ويشبه أبو فراس ضوء الفجر بالمشيب فيقول (٦٩/١/٤) :
- ٢٧ خلي شُدّالى على ناقتيكما إذا مابدا شيب من الفجر ناحيل
- ويشير الشعراء إلى المشيب يريدون به مرور زمن طويل ، كقول حلفي ناصف (٣٥٣/١٣) :
- ٢٨ برزت في سحر اليبا ن وشاب فيه مفرق

وقول أبي فراس (٥٠٢/٢/١١ ، ٩٠/١/٤) :

٢٩ مددنا عليه الليل والليل راضع إلى أن تحلى رأسه بمشيب

وقول أبي العلاء المعري (٦٥١/٢/١١) :

٣٠ أقول وقد طال ليلى على أما لشباب الدجى من مشيب ؟

وقول الراجز (٣٨/٣٩) :

٣١ لكل دهر قد لبست أثوباً حتى اكتسى الرأس قناعاً أشيباً

ونجد تمثيلاً في قول الشاعر (٢٧٨/١/١٤) :

٣٢ فنحن أخ لم تلق في الناس مثلنا أحياناً شاب الدهر وأبيض حاجبه

ويستخدم حافظ جميل ، الشيب وصفاً لطول مكوث الاستعمار البريطاني بوطنه العراق

فيقول (٧٣/٣١) :

٣٣ لله درك أشياء عبلاً يلى الزمان وأنت لا تبلى !

٣٤ من كان مثلك عبد بهمته لا يشتكى ضعفاً ولا هزلاً !

كذلك نجد أن الصلح ، وهو البديل للشيب أو المصاحب له - يُستخدم أيضاً استخدماً

بيانياً ، فيقول عمرو بن معد يكرب (١١٦/٢١) :

٣٥ وسوق كتيبة دلفت لأخرى كأن زهاءها رأس صليح

ونجد المشيب وبياضه يُشبه بهما في عدد من الأبيات ، منها قول السري الرفاء من أبيات يصف

باقى زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب (٩٦٨/١١/٤) :

٣٦ كأن أعاليها بياض سوافي يلوح على توريد جيب مؤرد

وقول صفي الدين الحلي من أبيات له في فرس أدهم مُحجّل (٢٠٨/١/١٥) :

٣٧ فكأنه صبغ الشبيبة هابه وخط المشيب ، فجاءه من أسفل

وحين يصفون الليل يشيرون إلى شبيهه وهو مجاز عن طلوع صبحه ، كقول أبي العلاء المعري

(٥٤٥/٢/١١) :

٣٨ من الزنج كهل شاب مفرق رأسه وأوثق حتى نهضه مثاقيل

وهم يكونون عن المشيب بالفجر : كقول مهيار الديلمي (٨٧/٢٩) :

٣٩ مالمسارى اللهور فى ليل الصبا ضلّ فى فجر برأسى وضحا ؟

وكما يصف الشعراء الشباب بالليل فإنهم يصفون المشيب بالنهار ، ونجد ابن المعتز يتحدث عن

وجوب الارعواء عند المشيب مستخدماً هذه الأوصاف فيقول (١٢٣/١/١٥) :

٤٠ ولقد قضت نفسى مآربها وقضيت غياً مرة ورشد

٤١ ونهار شيب الرأس يوقظ من قد كان فى ليل الشباب رقد

ويقول الفرزدق (٢٦٧/١/١٤) :

٤٢ والشيب ينهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانيه نهاراً

كذلك نجد أن الشاعر المصرى عبد الرحمن شكرى يستخدم مشاعر الفزع التى تتاب الإنسان

لدى رؤيته المشيب فى وصف فزعه من رؤية ضوء القمر على القبور فيقول (١٠١/٣١) :

٤٣ إني رأيت بياض صوتك موهناً فوق القبور كعارض يتهلل

٤٤ ففزعته من ذلك البياض كأنه لون المشيب على الدوائب يثقل

وهذا الفزع عند رؤية المشيب نجده مجالاً للتشبيه أيضاً فى قول أبى العلاء المعرى

(١١١/٤/١٤٩١ - ١٤٩٢ ، الأبيات ٤ - ٦) :

٤٥ دع الطير فوضى ! إنما هى كُلهَا طوالب رزقٍ لا تجىء بمفطع

٤٦ كعصبة زنجٍ راعها الشيب فازدهت مناقيش فى داجى الشيبة أفرع

٤٧ بعت شعرات كالثغام فصادت حوالك سوداً ماحلن لمترع

وفى شرح هذه الأبيات يقول البطليوسى إن المعرى شبه الغربان بعصبة من الزنج ظهر فى

ظهورها شيب أفرعها ، فأرادت أن تنتف الشعرات البيض ، فأخطأتها ومنتفت الشعرات التى يجب

ألا تُنتف ، وإنما قال ذلك لتنف الغربان لريشها الأسود .

وفى المجال البياني أيضاً يقول السرى الرفاء (٩٢٦/١٠/٤) :

٤٨ وغرائب مثل السيوف إضاءة وجدت من الفكر الدقاق صياقلا

٤٩ فلو استعار الشيب بعض جمالها أضحى إلى البيض الحسان وسائلا

ويعمد الشعراء فى المجال البياني أيضاً إلى ذم المشيب ، كقول أبى الطيب يمدح نفسه

(٩٣/٢٩) :

٥٠ ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهَرَمُ

ويقول عن الهرم (٩٣/٢٩) :

٥١ أتى الزمان بنوه في شببية فسرهم وأتيناها على الهرم !

وفي مجال التشبيه يصف المتنبي الرضا بشخص كرهاً كأنه الرضا بالشيب الذي نرضى به قسراً ،
فيقول (٢٩٠/٤/٤) :

٥٢ رَضُوا بِكَ كَالرُّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وقد وخط النواصي والفروعا !

وفي مجال إرسال الحكمة بأن الموت ليس له علاقة بالشباب أو المشيب ، وأن الشاب الأسود
اللثة قد يموت قبل من أصيب بالشيب العميم يقول المتنبي (٣٣٤/٤/٤)

٥٣ ولقد رأيتُ الحادثاتِ فلا أرى يَقَقًا يُمِيتُ ولا سواداً يَعْصِمُ !

ويقول السري الرفاء في وصف البرد (٩٦٧/١١/٤) :

٥٤ يومٌ خلعتُ به عِذارى فعرِيتُ من حُلَلِ الوقار

٥٥ وضحكتُ فيه إلى الصِّبا والشيبُ يضحكُ في عِذارى

وينسب أبو النجم الشيب إلى الأسنان في قوله (٤٦٣/١١٢/٢١) :

٥٦ إن يَكُ أَمْسَى الرَّأْسُ كَالثَّغَامِ وشاب أسناني من الأقوام

كذلك يستخدم الشعراء عدداً من المعاني الخاصة بالشيب المبكر استخداماً بيانياً ، فيقول
أبو العلاء المعري من قصيدة يحيب فيها أبا القاسم علي بن الحسين بن جليات عن قصيدة مدحه بها
(٥٠١/٢/١١ ، البيت ٤٧) :

٥٧ رجا الليلُ فيها أن يدوم شبابه فلما رآها شاباً قبل احتلامه !

ويقول من قصيدة يرثي بها أمه ، فيصف ليلاً يشيب الولدان فيه لما فيه من أهوال
(٣٥٦/٤/١١ ، البيت ٤٣) :

٥٨ وليلاً تُلحقُ الأهوالُ منه بفودِ الشيخ ناصية الغلام

ويقول ابن خفاجة يصف السرى في ظلمة الليل الحالك المنبعثة في كل ركن من أركان
الفضاء ، وما يوحيه هذا المنظر من خوف ورهبة (١٢٩/٢/١٦) :

٥٩ قد شاب من طرف المجرة مَفَرَّقُ فيه ومن خَطَّ الهلالِ عِدَارُ

ويتحدث ابن زيدون عن الشيب المبكر الذى يصيب الكبد من الهموم فيقول من قصيدة كتبها إلى صديقه أبى بكر بن مسلم عاتباً لأنه عابه لفراره من السجن :

٦٠ هربت ومال الشيب وَخَطُّ بِمَفَرَّقِ ولكنْ لشيب الهمِّ فى كبدى وَخَطُّ

أما عن الخضاب فقد استخدمه الشعراء استخداماً بيانياً فى مواطن عدة : فنحن نجد أن أبا العلاء المعرى يشبه بياض الدرع بالشيب ، والدم الذى عليه بالخضاب ، وذلك فى درعائه التاسعة على لسان رجل سأل أمه عن درع أبيه (١١/٤/١٨٥٥ - ١٨٥٦ ، الأبيات ٢٠ - ٢٣) ، ويلاحظ أنه يشير أيضاً إلى الشيب المبكر ، يقول أبو العلاء :

٦١ ذاتُ قَتِيرٍ شابت بمولدها ولم يكن شيبها من القدم

٦٢ فما عددنا بياضها هرمًا حين يُعدُّ البياضُ فى الهرم

٦٣ ما خضبته المهنداتُ لها ولا العوالى سوى رشاشِ دم

٦٤ فاعجب لرؤياك غير ناسكةٍ قد غيّرت بالصّيب والكم

ويقول عن إخفاء الخضاب للمشيب ، من قصيدة له (١١/٤/١٧٢٠ - ١٧٢٢) (البيتان

الثانى والثالث) :

٦٥ وأنّى لأُغيّرَ لى قتيراً خضابُ كالمُدَامِ بلا مزاج

٦٦ منعتُ الشيب من كتم التراقى ولم أمنعه من خطرِ العجاج

والبيتان من درعائه الثالثة قالها على لسان درع تخاطب سيفاً . ويقول التبريزى فى شرحها : القتير ابتداء الشيب ، والشيب إذا خضب أثر فيه الخضاب وتغيّر ، وقتير هذه الدروع لا يغيره الخضاب الذى ذكره وهو الدم ؛ لأن السيف لا يعمل فيه فيجرى عليه دم ويغيره .

ومن قصيدة ثالثة لأبى العلاء يشير فيها إلى قصيدة كان الممدوح قد حملها ليلغها بعض الناس

فلم يفعل ، يقول عن سرعة افتضاح الخضاب (١١/٢/٨٨١ ، البيتان ٢١ - ٢٢) :

٦٧ وإذا نضت عن متنها بُردَ الصِّبا معشوقةً فإلى الجفاء تثول

٦٨ شابت فجُدَّ بخضابها وابتعث بها عَجلاً إليه فللخضابِ نَصُولُ

وعن افتضاح الخضاب أيضاً يقول محمد الأسمر فى مجال التشبيه (٢٤/٢٣٥) :

٦٩ كالشيب أعيا من راح يصبغه فلاح يلمع مثل الفجر ناصله

ويقول أبو فراس (٣٦٥/١/١١ ، ٩٠/١/٤) :

٧٠ إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه مبادئ نُصولٍ في عذار خضيب

ويتحدث الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي عن سوء

الطالع الذي يلزمه ، وكأنه خضاب لا ينصل فيقول (٤٥٦/٣/١٢) :

٧١ يامن يسودُّ شعره بخضابه فعساه من أهل الشيبية يحصل

٧٢ هافاختضب بسواد (حظي) مرة ولك الأمان بأنه لا ينصل

ويقول البحتري في سرى الليل وطلوع الفجر (٢٦٧/١٣) :

٧٣ والعيس تنصل من دُجَاه كما انجلي صبغ الخضاب عن القذال الأشيب

وفي مجال الوصف البياني نجد في المادة الشعرية التي لدينا عدداً من التشبيهات يكثر ورودها ، كما ترد معها ألفاظ أو مصاحبات لفظية بعينها . وفيما يلي نعدد كلاً منها مع الاكتفاء بذكر مثل أو اثنين أو ثلاثة حيثما أمكن ذلك ، وتوضع أرقامها التي تدل عليها بين قوسين كما سبق أن أوضحنا في أ- ٢ ، وذلك فيما عدا ألفاظ الشباب والمشيب والخضاب ، فهي من الكثرة بحيث لا تحتاج منا إلى تنبيه .

ففيما يتعلق بالشباب نجد أنه يوصف بأنه بُرد (١١٠ ، ٨٥١ ، ١٠٢٨) أو ثوب (٣١٦ ، ٩٠٢) أو رداء (١٣٦٩ ، ١٤٥٧) يلبس (١١١ ، ١١٣) ويخلع أو ينضى (١٣٦٩) أو يطوى (٨٥١) ، وهو قناع يلبس (٨٨) ، وهو عمامة يتعمم بها (٨٩ ، ٤١١) .

كذلك يشار إلى الشباب بالسواد (١٣٢ ، ٥٠٨ ، ٩٩٦) أو الظلام (١٤٥٦) أو الظلماء (١٤٨١) وبالليل (٤٤٤ ، ٨١٥ ، ١٣٥٩) مقابل النهار للمشيب ، أو الدجى (٣٤١ ، ١٣٥٩) .

ويشبه الشباب بالغراب (٣٥٩ ، ٩٢٦ ، ١٣٧١) مقابل الباز للمشيب ، أو الأبنوس (٤٩١ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨) مقابل العاج للمشيب ، والحمم (٩٠٩) .

كذلك يشار إلى حالة التباهي بسحب الذيل أو جره (١٥٥ ، ٢٤٩ ، ٩٠٢ ، ١٤٥٧) . أما فيما يتعلق بالأفعال التي تصاحب ذكر الشباب فإنه يقال : إن الشباب وليّ (١١٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦١) وتولى (٧٢٨ ، ١٤٢٨) وبان (٤٤٢ ، ٧٤٨ ، ١٤٠٨) وأودى (١٨١)

ورحل (٢٣٨) وترحل (٢٣٣) وودع (٢٦٨ ، ٣٤٤ ، ٧٢٢) ومضى (٧٢٢) .
أما فيما يتعلق بالمشيب فنجد أنه كالشباب يوصف بالبُرد (١٣٦٨ ، ٥٤٤) أو الثوب
(٩١٩) أو الخلعة (١٠٨١) ؛ كما يوصف بالقناع (١٣٠ ، ٢٦٠ ، ٥٤١) والعمامة
(١١٣٥ ، ١٢٣٦) .

كذلك يشار إلى الشيب بالقتير (٦٢٩ ، ٧٧٠ ، ١٣٨٩) والبياض (٦٢٤ ، ٥٨٢ ،
١٥٤٠) مقابل السواد للشباب ، والنهار (٤٠٤ ، ٨١٥) مقابل الليل للشباب .
ويشبه المشيب بالحمامة أو الرخم (٥٢١ ، ٩٧٦ ، ٩٩٨) وبالباذ (٣٥٩ ، ٩٢٦ ، ١٣٧١)
مقابل الغراب للشباب ، وبالعاج (٤٩١ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨) مقابل الأبنوس للشباب .
كما يشبه بالثغام (٤٧ ، ٥٦ ، ٧٩٥) والريش (٩٠٩) والزبد (٨٤٦) والشعلة (٦٥٤)
والنور (٦٣٧) والصبح أو الصباح (٥٦٢ ، ١٤٥٦) والفجر (٦٩ ، ٣٤١) والبدر (١٣٥٩)
والكواكب (١٥٣٥) والنجوم (٣٩٠ ، ١٤١٨) والضوء (٢٨١) والكفن (٢٨٣) .
ويوصف المشيب بأنه ضيف (٢٩٦ ، ١٢٨٦) ونازل (٣٧٢) وزائر (٤٠١) وهو عند البعض
ضيف يرحب به (٦١٩ ، ٩٤٩) وعند الآخرين ضيف لا مرحباً به (٢٩٣ ، ٢٩٧) ، وهو
الزور يُجنى والمعاشر يحتوى (٢٧٨) ، وهو السم (٣٢٣) ، وهو إحدى الميتين (٤٠٧) وإحدى
القطيعتين (٧٩١) .

ومن المصاحبات اللفظية للمشيب نجد الألفاظ « وخط » (٦٣٠ ، ١٣٦٧ ، ١٣٩٢) ،
و« وضح » (٤٣١ ، ٤٦٠ ، ٦٢٣) و« ولع » (١٥٦٣) ، و« ايماض » (٦٢٩ ، ١٤٤٦) .
أما فيما يتعلق بالأفعال التي تصاحب ذكر المشيب فإنه يقال : ابيض (٦٧٩) ، واشتعل
(٢٧٢ ، ٧٦٦ ، ١٢٨٧) ، وغلّس (١٣٥٦ ، ١٥٣٨) ، وضحك (٥٥٢) ، وتبسم
(٦٢٩ ، ١٤٥٦) ، وتشعشع (٢٨١) ولقّع الرأس (٣٤٩) ، وانتضى (١٥١٢ ، ١٥٦٢) .
ومن المصاحبات اللفظية الخاصة بالمشيب تلك التي تدل على مكان حلوله كالقود (٤٨٨) ،
والعذار (١٤٣٧ ، ١٥٥٨) ، والمفرق (٤٧٧ ، ٦٥٤ ، ١٤٨٠) ، واللثة (٤٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٧٦) ،
والعذار (٥٢٥ ، ٦٧٨ ، ١٣٩٥) ، والعارض (٧١٨ ، ٧١٩ ، ١٢٣٠) ، والقذال (٤٧٧) ،
٦٨٥ ، ١٣٧٤) ، والرأس (٩٠٤ ، ١٣٨٥) ، والغدائر (٦٨٦) ، والدوائب (٤٨٩) ،
(١٢٧٨ ، ١٣٧٦) .

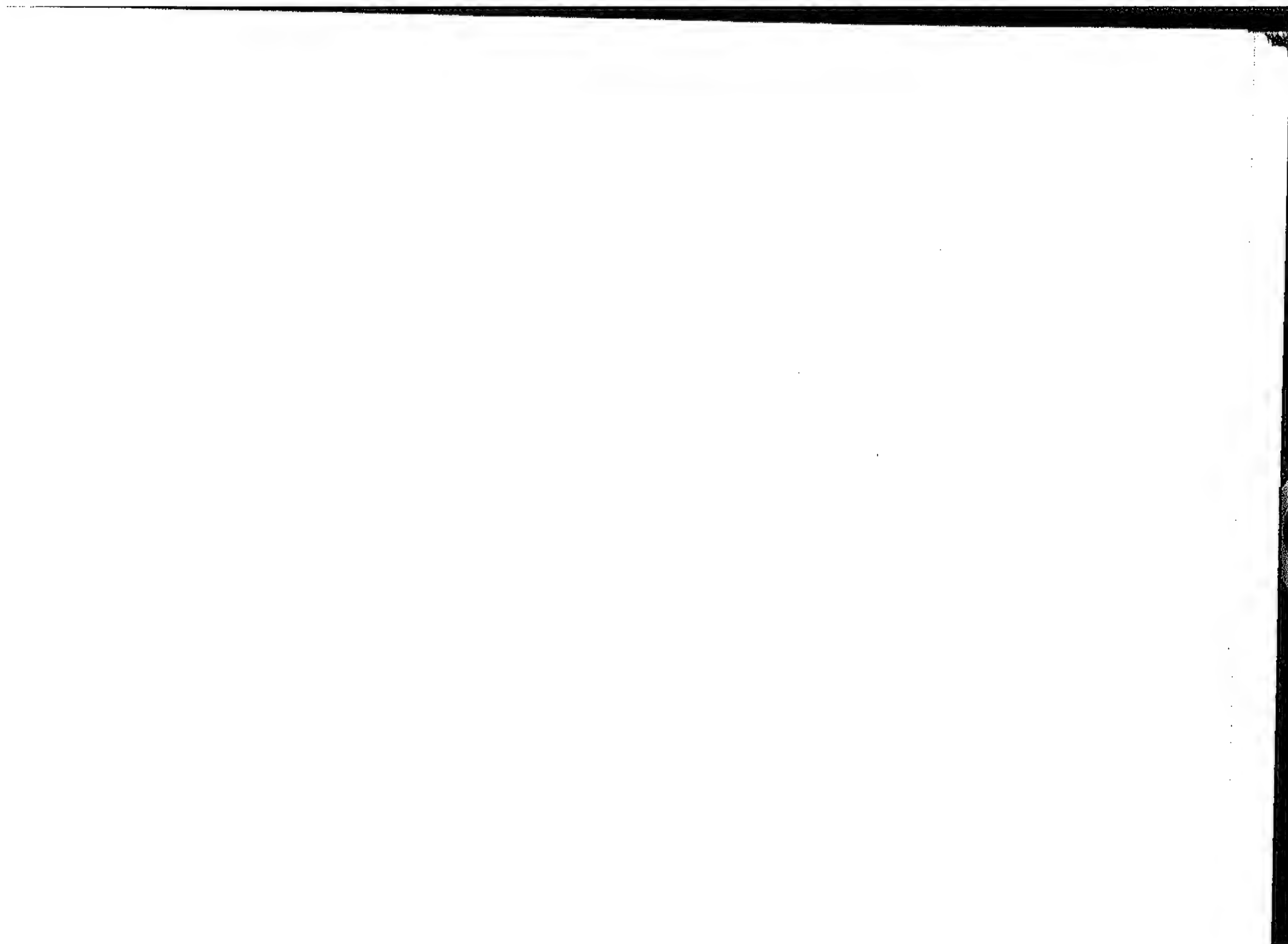
ويلاحظ أن هذه المصاحبات اللفظية وتلك التي سقناها آنفاً ترد في المادة الشعرية بصيغ

مختلفة من حيث الأفراد والتثنية والجمع ، أو ترد في صيغ المشتقات على اختلافها .
وثمة مصاحبات لفظية محدودة الدوران ، وهي تلك التي ترد مصاحبة للخضاب : فع
الخضاب يأتي ذكر الخطر (٩٤١ ، ٩٥٥) ، والكتم (٦٤) ، والأصول (٩٦٥) ، والنصول
(٦٩ ، ٩٠٧ ، ٩٦٧) ؛ كما ترد ألفاظ الكبر والمهرم والكهولة مصاحبة لوصف آيات الكبر .

البَابُ الْأَوَّلُ

«أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا» !





الفصل الأول

الشباب

١ - أ : مرحلة الشباب :

يجيء تحديد فترة الشباب على لسان أبي العلاء المعري ؛ إذ يقول (١٦٤/٣٦) :
٧٤ وما بعد مرّ الخمس عشرة من صباً ولا بعد مرّ الأربعين صباءً

وفي بيت آخر يحدد عهد الشباب بأنه الفترة بين الصبا والمشيبي فيقول (١٧٧/١/١١) :
٧٥ وعيشي الشباب وليس منها صباى ولا ذوائبي الهجان
٧٦ وكالنار الحياة فن رمادٍ أواخرها وأولها دُخانُ

١ - ب : مدح الشباب :

يرى الشعراء في الشباب عهد اللهو والمرح ، والقوة والفتوة ، والصحة والعافية ، والسرور والغبطة ، ولهذا فهم لا يفتنون بمدحونه ويذكرون أيامه ، فيقول الأحوص (١٣١/٣/١٠) :
٧٧ إن الشباب وعيشنا اللذ الذي كنّا به زمناً نُسرُّ ونجدلُ

ويقول أبو العتاهية (١٠٦/٧) :

٧٨ إن الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب

ويقول عبد الله بن الأبرص (٢٨٤/٩) :

٧٩ دَرَّ دَرُّ الشباب والشعر المسودَّ م والضامرات تحت الرحال^(١)

ويحدثنا أبو العلاء المعري عن نعمة الشباب ووجوب معرفة قدرها ، وكيف أن الشبيبة يتمناها جميع الحيوانات على اختلافها من الجن والإنس والنعم ، والطيور السحيم ، والظباء العفر ، فيقول (١٩٧١/٥/١١) :

(١) جاء في مجالس ثعلب ٢/ ٤٣٤ أن البيت لأبي العباس ، وورد لفظ « الأسود » بدلا من « المسود » ، ولفظ

« الضامرات » بالزاي المعجمة .

٢٨

٨٠ تنكّرتَ فاعرف للشبيبة موضعاً لكلّ ضميرٍ من هواه وساوس

٨١ تمناه إنسى وأعيسُ بازلُ وأسحم طيارُ وأعقرُ كانسُ

والشعراء إذ يمتدحون الشباب ، نراهم يحضون على التصابي والتمسك بحلاوة الشباب ، من ذلك قول الشاعر (٢٠٩/٢٢) :

٨٢ كُنْ لأخلاق التّصابي مستمرياً ولأحوال الشباب مستحلياً

وقول أحمد شوقي وهو يمدح الشباب ويذم المشيب (٢٢٨/٢٤) :

٨٣ جارِ الشبيبة وانتفع بجوارها قبل المشيب فماله من جار

وإن مجرد ذكرى الكبير شبابه تجعله يفيض حيوية وطرباً : كقول النحويين (٤٦/٤/٣) :

٨٤ قالوا كبرت فقلت إنّ ، وربما ذكر الكبير شبابه فتطرباً

ويرى السرى الرفاء أن طيب العيش يذهب بذهاب الشباب فيقول (٩٧١/١١/١٤) :

٨٥ فالعُيش - في ظلّ أيام الصّبا فإذا ودّعتَ طيبَ الشباب الغصّ لم يطب

ويصف الحسن جهل الشباب ورونقه وزيتته ، وسواد الشعر فيه قبل أن يرقعه الخضاب فيقول

(٣٥٢/٢/١) :

٨٦ ولداتي إذ ذاك في طاعة الجهد ل وقوتي من الصّبا إمراء

٨٧ ترَبَ عَيْشٍ لريطتي فضلُ ذيلٍ ولرأسي ذؤابةٌ فرعاء

٨٨ بقناع من الشبابِ جديدٍ لم يرقعه بالخضاب النساء

٨٩ قبل أن يلبس المشيب عذارى م وتبلى عمامتي السوداء

وقال بعضهم يعبر عن حبه للسواد ؛ لأنه لون شبابه (١١٥/٧) :

٩٠ أهوى الشباب لأن شيى أبيضُ يردى الفتى وأحب لون شبابي

١ - ج : ذم الشباب :

إن الشعراء الذين يذمون الشباب يرون أنه مطية الجهل ، وأنه جنون ، وأنه عهد الغنى والإثم

وارتكاب الذنوب والمعاصي ، ومن أمثلة هذا كله قول النابغة الذبياني (١٠٧/٧) :

٩١ وإن يك عامرٌ قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب

وقوله (٦٠/٣/٤٥) وكأنما خاله النعمان بن المنذر :

٩٢ فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع

وقول ابن أبي فتن (٣٦٠/٢/١)

٩٣ قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبير

وقول حسان بن ثابت (١٣٨٧/٣/١١) ، ويروى أيضاً لابنه عبد الرحمن كما في الحيوان (١٠٨/٣) :

٩٤ إن شرح الشباب والشعر الأسود مالم يعاص كان جنونا

ويصف أبو الطيب محمد بن حاتم المصعبي كيف يسود الشباب الصحف بالذنوب فيقول (١٠٧/٧) :

٩٥ لم أقل للشباب في كنف الله م ولاستره غداة استقلاً

٩٦ زائراً لم يزل مقيماً إلى أن سود الصحف بالذنوب وولى

ويقول الشاعر (٨٩/٥٧) :

٩٧ ولقد نزعتم مع الغواة بدلوهم وأسمت صرح اللهو حيث أساموا

٩٨ وبلغتم ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثم

وعن ذكريات الشباب المؤلة يقول ابن الرومي من قصيدته في عبيد الله بن عبد الله التي عنوانها « ذكرى الشباب » (١٩٠/١٧) :

٩٩ يذكرني الشباب هوان عتبي وصد الغانيات لدى عتاي

١٠٠ يذكرني الشباب سهام حنفي يصبن مقاتلي دون الإهاب

ويرى الشعراء أن الشباب سراب خادع يملأ النفس بالمني ، ثم يترك المرء رهين ما اقترف في شبابه من ذنوب ، فتسمع أبا الأسود يخاطب الشباب قائلاً (٣٢٦/٢/٤٩) :

١٠١ غداً منك أسباب الشباب فأسرعا وكان كجارٍ بان يوماً فودعا

١٠٢ فقلت له فاذهب ذميماً فليتني قتلتك علماً قبل أن تتصدعا

١٠٣ جنيت على الدنوب ثم خذلتني عليه فبش الخلتان هما معا

١٠٤ وكنت سراً فاضحاً إذ تركتني رهينة ما أجنى من الشر أجمعا

ويقول إيليا أبو ماضي على لسان شاب يريد أن يسرع به الزمن ليغدو شيخاً حكيماً ، فيتخلص
 من أحلام الشباب التي يشقى بها كثيراً ، فيخاطب ربه قائلاً (٢٨١/١/٤٨) :
 ١٠٥ عبء على نفسي هذا الصبي م الجائش المستوفز الطامي
 ١٠٦ يزرع حول زهرات المنى وشوكها في قلبي الدامي
 ١٠٧ خذ قلبي وأحلامه فإني أشقى بأحلامي
 ١٠٨ وازرع نجوم الشيب في لمتي فينجلي حنيس أوهامي

١ - د : البكاء على الشباب :

لا يفتأ الشعراء يذكرون شبابهم ، ويبكونه ويتحسرون عليه ، ويتمنون عودته ، وهم يتشبثون
 به وإن كانوا يعلمون أن ذهابه بلا عودة ، وأن أيامه قصيرة سرعان ماتولى .

ونبدأ بيت لأبي العتاهية هو الذي يسبق البيت رقم (١) الذي اتخذناه إطاراً لبحثنا هذا ، إذ
 نسمعه يقول (٤٢٩/٨) :

١٠٩ عريت من الشباب وكان غضاً كما يعرى من الورق القضيب

ويقول ابن الرومي (١٠٧/٧) :

١١٠ أيا برّد الشباب لكنت عندي من الحسنات والقسم الرغاب
 ١١١ لبستك برهة لبس ابتذال على علمي بفضلك في الثياب
 ١١٢ ولو ملكت صونك فاعلمنه لصنّك في الحرير من الغياب
 ١١٣ ولم ألبسك إلا يوم فخر ويوم زيارة الملك اللباب

ونسلمع تاج الدولة أبا الحسن أحمد بن عضد الدولة يقول (٩/١١/٤) :

١١٤ هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسن من الحبس والأسر
 ١١٥ فمن لي بأيام الشباب التي مضت ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري ؟

ويقول محمود سامي البارودي يتشوق وهو في المنفى (٨٥/١/١٥ ، ٤٩٦/٢/١٥) :

١١٦ ردوا على الصبا من عصرى الخالي وهل يعود سواد اللمة البالي ؟

ويقول الشاعر (٦٥٥/٢/١١) :

١١٧ زمان الصِّبا ليت أيامنا رجعن لنا السالفاتِ القصارا

ويقول ظافر الحداد (٩١/٣٢) :

١١٨ أسنى على ورد الشباب الزائل أسفاً يطولُ عليه عضُّ أنامل

١١٩ ولَّى فلا طمع لعطفة هاجر منه ولا أمل لأوبة راحل

ويقول لبید (٣٤٩/١٠٨/٢١) :

١٢٠ وتبكي على إثر الشباب الذي مضى ألا إن أخذان الشباب الرعارع

ومن أكثر الشعراء بكاءً على الشباب وتحسراً عليه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ؛ فقد

وجدنا له على سبيل المثال نحو خمسة وأربعين بيتاً في هذا المعنى نورد منها مايلي ، يقول ابن عبد

ربه (٨٤٢/٩/٤) :

١٢١ ولَّتْ ليلَى الصِّبا محمودَةً لو أنها ترجع تلك الليالِ !

ويقول (٨٣٢/٩/٤) :

١٢٢ ولَّى الشبابُ وكنتَ تسكنُ ظلَّهُ فانظر لنفسك أيَّ ظلٍّ تسكنُ

١٢٣ وأنه المشيبَ عن الصِّبا لو أنه يُدلى بحجته إلى من يُعَلِنُ

ويقول (٨٣٢/٩/٤) :

١٢٤ كنتُ أليفَ الصِّبا فودَّعني وداعَ مَنْ بَانَ غيرُ مُنصرفٍ

١٢٥ أيامَ لهوى كظلٍّ إسجِلَةٍ وإذ شبابي كروضة أنف

ويقول (٢٩٦/٦/١) :

١٢٦ ولَّى الشبابُ فقلتُ أندبه لأمثل ماقالوا ولاندبوا

١٢٧ «دِمنٌ عَفَّتْ ومحا معالمها هطلٌ أجشٌ وبارعٌ تَرِبٌ»

ويقول وهو يذكر نعمة الشباب ويتمنى لو كانت تدوم (٣٥٣/٢/١) :

١٢٨ قالوا شبابُكَ قد مَضَتْ أيامُهُ بالعِش قلتُ وقد مَضَتْ أيامي

١٢٩ لله آيةٌ نعمةٍ كان الصِّبا لو أنها وُصِلَتْ بطولٍ دَوامٍ

١٣٠ حسر المشيبُ قناعه عن وجههِ وصَحَا العواذِلُ بعد طولٍ ملامٍ

١٣١ فكأن ذاك العِش ظلٌّ غمامةٍ وكان ذاك اللهُو طيف منامٍ

ويقول (٣٥٣/٢/١) (٢)

١٣٢ شبابي كيف صرتُ إلى نفاذ
١٣٣ وما أبقى الحوادث منك إلا
١٣٤ فراقك عَرَفَ الأحزان قلبي
١٣٥ فيالنعيم عيشي قد تولى
١٣٦ كأنني منك لم أَرَبْعُ بَرَبْعِ
١٣٧ سقى ذاك الثرى وَبَلُّ الثريا
١٣٨ فكم لي مِنْ غليلٍ فيه خافٍ
١٣٩ زمانٌ كان فيه الرشدُ غيًّا
١٤٠ يُقَتِّلُنِي بدلًا مِنْ قَتولِ
١٤١ وأَجْنِبُهُ فيعطيني قياداً

وَبُدِّلْتُ البياضَ من السوادِ
كما أَبَقْتُ من القمر الدَّادِي
وَفَرَّقَ بين جَفْنِي والرُّقادِ
وياالغليل حُزْنِي مُسْتَفادِ
ولم أَرْتَدِ بِهِ أحلى مرادِ
وغادى نبتةً صوبُ الغوادي
وكم لي من عويلٍ فيه بادِ
وكان الغيُّ فيه من الرِّشادِ
وَيُسَعِدُنِي بوضلي مِنْ سَعادِ
ويجَنِّبني فأعطيه قيسادي

ويقول (٣٤٠/٦/١ ، ٨٥٧/٩/٤) :

١٤٢ أما الشباب فَوَدَّعْتُ أيامهُ
١٤٣ لله أيامُ الصِّبا لو أنها
ووداعُهُنَّ مُوَكَّلٌ بوداعي (٣)
كَرَّتْ عَلَيَّ بلدةٌ وسَماعِ

وفي تحسره على الشباب نجد أن ابن عبد ربه يتحدث عن عدم الارعواء بعد أن وَلَّى الشباب

فيقول (٨٦٠/٩/٤) :

١٤٤ أَلَا يَازِينَ قلبي للشباب م العَفْر اذ وَلَّى (٤)
١٤٥ جعلتُ الغيَّ سِرْبَالِي وكان الرشدُ بي أُولَى

ونجد جميل بن معمر يتمنى أن يعود الشباب ؛ لأنه عهد الهوى ولقاء الأحبة فيقول

(١٠٣/٨/٥) :

١٤٦ ألا ليت ريعان الشباب جديداً
ودَهْرًا تَوَلَّى يابثين يعودُ (٥)

(٢) يلاحظ أن هذه الأبيات وردت مختلفة قليلاً في بيتمة الدهر ٨٣٣/٩ .

(٣) وردت كلمة « بوداعي » في بيتمة الدهر ٨٥٧/٩ ، أما في العقد الفريد ٣٤٠/٦ فقد وردت كلمة « بوداع » .

(٤) ورد في العقد الفريد ٣٤٢/٦ لفظة « دين » بدلا من « زين » و « الغص » بدلا من « العفر » .

(٥) ورد في المنتخب ١٣٨/٢ « أيام الصفاء » بدلا من « ريعان الشباب » .

كما نجد أحمد شوقي يحنّ إلى ذكريات الصبا وأيام أنسه ومراحه فيقول (٤٠/٢٢) :

١٤٧ اختلاف الليل والنهار يُنسى اذكرا لي الصِّبا وأيام أنسى

١٤٨ وصفا لي ملاوة من شباب صورت من تصورات ومَسَّ

١٤٩ عصفت كالصِّبا اللعوب ومَرَّتْ سِنَّة حُلوة ولذة خلس

ويرى قعنب بن أم صاحب أن عهد الهوى يولّى إذا ما ولىّ الشباب فيقول (١٩/٣٥) :

١٥٠ علقت سلمى على عصر الشباب فقد أودى الشباب وسلمى الهم والحزن

كذلك فإن طيب العيش يولّى إذا ولىّ الشباب ، كقول ابن أحمَر (١٨٠/٢/٣) :

١٥١ بَانَ الشَّبابُ وَأَفْنَى ضَعْفَهُ الْعُمُرُ لَلَّهِ دَرِّي ! فَأَيَّ الْعَيْشِ أَنْتَظِرُ ؟

وقول الشاعر يتحسر على عهد اللهو والعبث (٥٠٣/٨) :

١٥٢ لعمرى لئن حلّثت عن منهل الصِّبا لقد كنت ورّاداً لمشره العذب

١٥٣ ليالى أغدو بين بُردين لاهياً أُميس كغصن الباتة الناعم الرطب

وقول آخر (١٩٥/٢٤) :

١٥٤ ياطيب نعمة أيام لنا سلفت وحسنَ لذة أيام الصِّبا عودى !

١٥٥ أيام أسحب ذيلي في بطالتها إذا ترنم صوت الناي والعود

كذلك نجد أبياتاً لأبي العلاء المعرى في التحسر على الشباب والبكاء عليه ، فنسمعه يقول في

إحدى قصائده (٦٥٥/٢/١١ ، البيتان الثالث والرابع) :

١٥٦ إذا الفتى ذمَّ عيشاً في شبّيته فما يقولُ إذا عصرُ الشباب مضى ؟

١٥٧ وقد تعوضت عن كُلِّ بِمُشْبِهِهِ فما وجدتُ لأيام الصِّبا عوضاً !

ويقول من قصيدة له في الفخر (٣٦٣/٢/١٥ - ٣٦٤) :

١٥٨ وأطربني الشبابُ غداة ولىّ فليت سنيه صوتُ يُستعادُ !

١٥٩ وليس صِباً يُفادُ وراءَ شيبٍ بأعوز من أخى ثقةٍ يُفادُ

ويقول في استحالة عودة الشاب ، من قصيدة له (٣٦٢/٢/١٥) :

١٦٠ ولكن الشباب إذا تولّى فجهلٌ أن تروم له ارتداداً

١٦١ وأحسب أن قلبي لو عصاني فعاود ما وجدتُ له افتقاداً

وفي هذا المعنى يقول السيد الحميري (٢٣٩/٢/١) :

١٦٢ إذا ما المرء شاب له قذال وعلله المواشي بالخضاب

١٦٣ فقد ذهب بشاشته وأودى فقم يا بأك وأبك على الشباب

١٦٤ فليس بعائد ما مات منه إلى أحد إلى يوم المآب

ويمضي الشعراء في بكائهم على الشباب وتمنى عودته ، حتى إن الشاعر ليرتضى أن ينقص من

عمره في مقابل أن يعود إليه الشباب ، كقول ابن طباطبا العلوي (٩٧/٣/٤٥) :

١٦٥ يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا عاماً ورد من الصبا أياما

غير أن الشاعر يعلم علم اليقين أن الشباب لا يعود ، فنسمع حميداً يقول :

(٥١٧/١١٦/٢١) :

١٦٦ ليس الشباب عليك الدهر مرتجعاً حتى تعود كثيراً أم صبار

وفي هذا المعنى يقول محمود سامي البارودي (١٠٦/٢٨) :

١٦٧ أين أيام لذي وشبابي ؟ أتراها تعود بعد الذهاب ؟

١٦٨ ذاك عهد مضى ، وأبعد شيء أن يرد الزمان عهد التصابي

١٦٩ كل شيء يسره ذو اللب إلا ماضي الدهر في زمان الشباب

ونحن نجد أن الشاعر الهذلي « أبو كبير » يبدأ أربع قصائد له بأربعة أبيات متشابهة في اللفظ

والبناء وقد أوردنا ثلاثاً منها في ٢ - د - ٢ الخاص بحتمية المشيب ، وكلها يبدوها ببناء « زهير » .

يقول أبو كبير في مطلع القصيدة الرابعة (٨٨/٥٠ - ٨٩) :

١٧٠ أزهر هل عن شية من معدل أم لاسبيل إلى الشباب الأول

ويقول :

١٧١ أم لاسبيل إلى الشباب ، وذكره أشهى إلى من الرحيق السلسل

١٧٢ ذهب الشباب وفات مني ماضي ونضا زهير كرهتي وتبطلي

١٧٣ وصحوت عن ذكر الغواني وانتهى عمرى وأنكرت الغداة تقتلي

١٧٤ أزهر إن يشب القذال فإنني رب هيضل مرسى لنفت بهيضل

وإنه لما يزيد من حزن الشعراء أن الشباب أيامه قصيرة ، فهي تمضي سراعاً كما يمضي كل شيء

جميل . يقول حسان بن ثابت (٥٩٠/٨) :

١٧٥ لم تقتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
١٧٦ لويدب الحولى من ولد الذرم عليها لأندبتها الكلوم

ويقول صريع الغواني (٣٥٢/٢/١) :

١٧٧ واهاً لأيام الصبا وزمانه لوكان أسعف بالمقام قليلاً
١٧٨ سل عيش دهرٍ قد مضت أيامه هل يستطيع إلى الرجوع سبيلاً ؟

ويصف ذو الإصبع العدواني حاله حين كان في ريعان الشباب ترمقه الحسان بإعجاب ،
ويتحسر على ذهاب الشباب فيقول (٩٦/٣/٥) :

١٧٩ وكنت إذ رونق الشباب به ماء شبابي تخاله شرعا
١٨٠ والحى فيه الفتاة ترمقنى حتى مضى شأو ذاك فانقشعا^(٦)

ويقول سلامة بن جندل السعدى من قصيدة تبلغ اثنين وثلاثين بيتاً يتحسر على الشباب
ويتفجع لذهابه (٢٠/٤/٣) :

١٨١ أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأو غير مطلوب
١٨٢ ولّى حيثاً وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب^(٧)
١٨٣ أودى الشباب الذى مجد عواقبه فيه نلّذ ، ولا لذات للشيب
١٨٤ يومان : يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وقال أعرابي (٣٥٢/٢/١) :

١٨٥ لله أيام الشباب وعصره لا يستعار جديدة فيعار
١٨٦ ماكان أقصر ليلاً ونهاره وكذلك أيام السرور قصاراً

ويرى الشعراء أن الحياة بعد ذهاب الشباب تفقد رونقها ، وتصبح لاطعم لها ، فيقول ابن

أبي حازم (٣٥٢/٢/١ ، ٦٥٥/٢/١١) :

١٨٧ ولّى الشباب فخلّ الدمع ينهمل فقدّ الشباب بفقد الروح متّصل
١٨٨ لانكذبنّ فما الدنيا بأجمعها من الشباب يوم واحد بدّل

(٦) أوردنا البيتين اللذين يسبقان هذين تحت ٢ - د - ٢ (حتمية المشيب) بالرقين ٨٠٣ - ٨٠٤ .

(٧) جاء في المنتخب ٢٠/١ « يتبعه » بدلاً من « يطلبه » .

ويقول جورج صيدح الشاعر المهجري (٨٠/٤٨) :

١٨٩ عهد الشباب وعهد الشام إن مضيا فكل ما أبقت الأيام حيرمان

ويعبر على الجارم عن الشقاء الذي يلزم المرء بعد تولى الشباب بقوله (١٧١/٢٢) :

١٩٠ يا خليلي خلّيانى وما بى أو أعيدا إلى عهد الشباب

ويرى ابن نباتة أن الحياة بعد زوال الشباب ماهى إلا شرّ، فيقول متلاعبا بالحروف

(٢٢٤/١٦) :

١٩١ آو لشرح شبابٍ كان لى ومضى واعتضتُ شرخاً ولكن ماله نخاء !

ويقول دعبل بن على بن رزين (٢٣٦/٢/١٥ - ٢٣٧) :

١٩٢ أين الشباب ؟ وأية سلكا ؟ لا ، أين يُطلب ؟ ضلّ ، بل هلكا

١٩٣ لاتعجى ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى ا

ونجد أبا نواس يتحسر على الشباب وكأنما ينعاه فيقول (٨٩/٥٧) .

١٩٤ كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

١٩٥ كان الجمال إذا ارتديت به ومشيت أخطر صيت النعل

١٩٦ كان المشفع في مآربه عند الفتاة ومدرك النيل

إلى أن يقول :

١٩٧ فالآن صرتُ إلى مقاربة وحططتُ عن ظهر الصبارحلى

ويرى المتنبي أن المشيب إن كان يحىء بالوقار فإن الشباب هو الذى يجدر بنا أن نبكيه ، فيقول

من قصيدة له (٣٤٤/٢/١٥) :

١٩٨ فالموت آتٍ والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحمق

١٩٩ والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوقر ، والشيبة أنزق

٢٠٠ ولقد بكيت على الشباب ولمتى مسودة ولما وجهى رونق

٢٠١ حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق ا

ويبكي ولى الدين يكن شبابه بقوله فى إحدى قصائده (٥١١/٢/١٥) :

٢٠٢ بكت عيني الشباب وحين جفّت مدامعها غداً يبكى الجنان

ويرى ابن الرومي أن البكاء على الشباب أمر لا يُلام فيه أحد ، إذ إن المرء لا يعرف قدر الشباب إلا حين يولّى ، فنسمعه يقول (١٠٧/٧) :

٢٠٣ لا تلح من يبكي شببيته إلا إذا لم يبكها بدم
٢٠٤ لسنا نراها حق رؤيتها إلا أوان الشيب والهرم
٢٠٥ ولربّ شيء لا يبيّنه وجدانه إلا مع العدم
٢٠٦ كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تغشى الأرض بالظلم

وفي هذا المعنى يقول منصور النمرى (٢١٩/٤١) :

٢٠٧ ما كنت أوفى شبابي كنه عزّته حتى مضى فإذا الدنيا له تبع
٢٠٨ أصبحت لم تطعمي ثكل الشباب تشجى لغصته فالعذر لا يقع
٢٠٩ ما كان أقصر أيام الشباب وما أبقى حلاوة ذكراه التي تدع
٢١٠ ما واجه الشيب من عين وإن رمقت إلا لها نبوة عنه ومرتدع
٢١١ قد كدت تقضى على فوت الشباب أسى لولا يعزّيك أن العمر منقطع

وإن حزن الشعراء على ذهاب شبابهم ليجعلهم يتمنون لو كان الشباب شيئاً يباع فيشتروه ، فيقول جرير (٣٥٢/٢/١) :

٢١٢ ولّى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يُشترى أو يرجع

ويقول رؤبة بن العجاج (٢٨٦/١/٢) :

٢١٣ ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شباباً بُوع فاشترت

لهذا نجد أن الشعراء حين يحضّون على التمتع بالشباب يرون أن مثل ذلك التمتع أمر طبيعي ،

فيقول أبو محمد الحسن التنيسي من قصيدة طويلة في وصف الروض (٥٨٤/٧/٤) :

٢١٤ فكيف هجران اللذات ولم يبدُ نهار الشيب في ليل الشعر
٢١٥ والنسك في عصر الصبا كأنه من قبحه خلع عذار في الكبر

والشعراء من أجل ذلك يودعون الشباب وداع عزيز راحل ، فيقول حافظ إبراهيم تحت

عنوان « وداع الشباب » (٢٥٤/٢٢) :

٢١٦ كم مرّ فيك عيشٌ لست أذكره ومرّ بي فيك عيشٌ لست أنساه

٣٨

٢١٧ ودَّعْتُ فَيْكَ بَقَايَا مَا عُلِقْتُ بِهِ مِنْ الشَّبَابِ وَمَا وَدَّعْتُ ذِكْرَاهُ
٢١٨ أَهْفُو إِلَيْكَ عَلَى مَا أَقْرَحْتُ كَبْدِي مِنْ التَّبَارِيحِ أَوْلَاهُ وَأُنْخِرَاهُ

ويرى محمود الوراق أن ما يستحق أن يُعزى فيه المرء حقاً هو فقدان الشباب ، فنسمعه يقول

(٣٥٢/٢/١ ، ٤٨٤/٨) :

٢١٩ أليس عجباً بأن الفتى يُصابُ ببعضِ الذي في يَدَيْهِ ؟
٢٢٠ فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مَوْجَعٌ وَبَيْنَ مُعَزٍّ مَفْدٍّ إِلَيْهِ
٢٢١ وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعَزِّيه خَلْقٌ عَلَيْهِ

ولابن الرومي عدة أبيات يتناول فيها هذا المعنى ، منها قوله (٣٧٢/٣/١٢) :

٢٢٢ عاصي العزاء عن الشبا بـ فطاوع الدمع الغرير
٢٢٣ كيف العزاء عن الشبا بـ وغصنه الغصن النضير
٢٢٤ كيف العزاء عن الشبا بـ وعيشه العيش الغرير
٢٢٥ بَانَ الشَّبَابُ وَكَانَ لِي نِعَمَ الْجَاوِرِ وَالْعَشِيرِ
٢٢٦ بَانَ الشَّبَابُ فَلَا يَدُ نَحْوِي وَلَا عَيْنُ تَشِيرِ
٢٢٧ وَلَقَدْ أُسْرَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَاقِلِي الْيَوْمِ الْأَسِيرِ

وقوله (٣٧٣/٣/١٢) :

٢٢٨ لعمرك ما الحياة لكلِّ حيٍّ إِذَا فَقَدَ الشَّبَابَ سَوَى عَذَابِ
٢٢٩ سَقَى عَهْدَ الشَّبَابِ كُلَّ غَيْثٍ أَعَزَّ بِمَجْلَلِ دَانِي الرِّبَابِ
٢٣٠ يَذْكُرُنِي الشَّبَابُ جَنَّانٍ عَدْنٍ عَلَى جَنَابَاتِ أَنْهَارِ عَذَابِ
٢٣١ فَيَا أَسْفَاً وَيَا جَزَعاً عَلَيْهِ وَيَا حِزْناً إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
٢٣٢ أَفْجَعُ بِالشَّبَابِ وَلَا أُعَزِّي لَقَدْ غَفَلَ الْمُعَزِّي عَنْ مَصَابِي

وبعض الشعراء حين يتحسر على الشباب الراحل عنه يتعرض للمشيب النازل بساحته ويقارن

بين الساكن النازح والساكن القادم ، كقول عبد الحميد الكاتب (٣٢٢/٢/٤٩) :

٢٣٣ تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالْأَثَلِ
٢٣٤ فَلَهْفِي مِنْ الْخَلْفِ النَّازِلِ وَلَهْفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ
٢٣٥ أَبْكِي عَلَى ذَا وَأَبْكِي لَذَا بِكَاءِ الْمَوْلَاهَةِ الشَّاكِلِ

٢٣٦ تُبَكِّي من ابن لها قاطع وتُبَكِّي على ابن لها واصل
٢٣٧ تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصَّبَا وَرُدَّ التَّقَى عَنْ الْبَاطِلِ

وقول عبد الرحمن بن خالد أخو الحارث بن خالد (٣٨٤/٢/٦ ، ٣١٢/٣/٥) :

٢٣٨ رَحَلَ الشَّبَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرَحَلْ وَمَضَى لَطِيَّةً ذَاهِبٌ مُتَحَمِّلٌ
٢٣٩ وَلَّى بِلَا ذَمٍّ وَغَادِرٌ بَعْدَهُ شَيْئاً أَقَامَ مَكَانَهُ فِي الْمَنْزِلِ
٢٤٠ لَيْتَ الشَّبَابُ ثَوَى لَدَيْنَا حِقْبَةً قَبْلَ الْمَشِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرَحَلْ
٢٤١ فَنُصِيبُ مِنْ لَذَّاتِهِ وَنَعِيمِهِ كَالْعَهْدِ إِذْ هُوَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وإن أشد ما يكون البكاء على الشباب حين يحل الكبر ، وما يصحبه من ضعف في الجسم وفي السمع والبصر ، فيقول عمرو بن شأس (٢١٣/٨/٥) :

٢٤٢ فَوَانْدَمَى عَلَى الشَّبَابِ وَوَانْدَمَ نَدِمْتُ وَبَانَ الْيَوْمَ مِنِّي بَغِيرُ ذَمٍّ
٢٤٣ وَإِذَا إِخْوَتِي مُرَّدٌ وَإِذَا أَنَا شَائِخٌ وَإِذَا لَا أَجِيبُ الْعَاذِلَاتِ مِنَ الصَّمَمِ

ذلك لأن الشاعر يرى أن تولى الشباب إنما هو نذير اقتراب المنية ، وفي هذا يقول محمود سامي البارودي (٢٧٨/٢٢) :

٢٤٤ إِلَامَ يَهْفُو بِحِلْمِكَ الطَّرْبُ أَبْعَدَ الْخُمْسِينَ فِي الصَّبَا أَرَبُ؟
٢٤٥ هِيَّاتِ وَلَّى الشَّبَابُ وَاقْتَرَبَتْ سَاعَةٌ وَرَدَ دَنَا هِيَ الْقَرَبُ
٢٤٦ فَلَيْسَ دُونَ الْحِمَامِ مَبْتَعْدٌ وَلَيْسَ نَحْوَ الْحَيَاةِ مَقْتَرَبُ
٢٤٧ كُلُّ أَمْرٍ سَائِرٌ لِمَنْزِلَةٍ لَيْسَ لَهَا عَنْ فَنَائِهَا هَرْبُ

ويقول الشريف المرتضى في هذا المعنى أيضاً (٣٧٤/٣/١٢) :

٢٤٨ أَلَا حَبِذَا زَمَنَ الْحَاجِرِ وَإِذَا أَنَا فِي الْوَرَقِ النَّاصِرِ
٢٤٩ أَجْرٌ ذَيْلُ الصَّبَا جَامِحًا بَلَا أَمْرٍ وَلَا زَاجِرِ
٢٥٠ إِلَى أَنْ بَدَا الشَّيْبُ فِي مَفْرِقِ فَكَانَتْ أَوَائِلُهُ آخِرِي

ويقول الشاعر (٤٧٧/١١٢/٢١) :

٢٥١ إِذَا أَنَا فِي عَهْدِ الشَّبَابِ الرَّائِعِ أَجْرٌ بَرْدِيَّ إِلَى الْمَصَانِعِ
٢٥٢ هُنَاكَ أَعْلَى شَبِّمِ الْبَرَاقِعِ

وفقد الشباب قد يكون إحدى المصائب التي تعادل مصيبة فقدان الأحبة بالموت ، كقول
التهامي في رثاء ابنه (١٤٨/٢٥) :

٢٥٣ إذا ما تولى ابني وولت شبيبتي وولّي عزائي فالسلام على الدهر

وإذ يفقد الشاعر شبابه فيفقد بذهابه كل شيء يجد أنه لم يبق لديه سوى الشعر عزاء ، وهكذا

نسمع خليل شبيب يقول (٢٦/٣٤) :

٢٥٤ نسيت وقد رقّ الشباب وعطلت ثغور المنى وانفض ما أنا حاسبه

٢٥٥ موائق أيام الشباب الذي مضى به العمر وهاب الشباب وسالبه

٢٥٦ نفضت يدي إلا من الشعر إنه عزائي ، إذا ما الدهر حلت نوائبه

البَابُ الثَّانِي

« فَأَخْبِرْهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ »



الفصل الثاني

المشيب

٢- أ : حلول المشيب

إن الشاعر - مثله في ذلك مثل سائر الناس - ليتزعج لدى رؤيته أول شعرة بيضاء تخط رأسه ، فهو يدرك أنها بداية الطريق إلى المشيب ، وأنه سوف تتبعها شعرات وشعرات . وفي ذلك يقول ابن الرومي (٣٧/٢٩) :

٢٥٧ أول بدء المشيب واحدة تُشعل ما جاورت من الشعر
٢٥٨ مثل الحريق العظيم تبدو أول صول صغيرة الشرر

ويقول أبو العلاء المعري في مطلع درعته الثالثة عشرة يصف حلول المشيب بفوديه (١٨٧٨/٤/١١) :

٢٥٩ غداً فوداي كالْفُودَيْنِ ثِقْلاً وأضحى الشيبُ بينهما علاوة

ويقول الشاعر (٣٧٨/٨) :

٢٦٠ أصبح الشيب في المفارق شاعا واكتسى الرأسى من البياض قناعا
٢٦١ ثم ولّى الشباب إلا قليلاً ثم يأبى القليل إلا نزاعا

ويقول أبو العلاء المعري من قصيدة يرثى بها أمه (١٦٨٩/٤/١١ ، البيت السادس) :

٢٦٢ مَضَتْ وكأني مُرْضِعٌ وقد ارتَقَتْ بي السنُّ حتى شكلُ فودى أشكالُ

ويقول ابن دريد (٩٩/٤٠) :

٢٦٣ أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
٢٦٤ واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

ويقول المتنبي (٣٥٥/٤/٤) :

٢٦٥ تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالَى بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغَرَائِقُ
ويقول ابن هرمة من قصيدة له (١١٥/٦/٥) :

٢٦٦ رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيْنَا رَوَائِعُهُ بِحُجَّةٍ مُسْتَقِيمٍ
٢٦٧ إِذَا نَاكَرْتُهُ نَاكَرْتُ مِنْهُ خَصُومَةٌ لَا أَلَدَّ وَلَا ظَلُومَ
٢٦٨ وَودَعْنِي الشَّبَابُ فَصَرْتُ مِنْهُ كَرَاخٍ بِالصَّغِيرِ مِنَ الْعَظِيمِ

ويقول علي بن جبلة يصف حلول المشيب ويتحسر على الشباب (٩٠/١٨) :

٢٦٩ جَلالَ مَشِيبٍ نَزَلَ وَأُنْسُ شَبَابٍ رَحَلَ
٢٧٠ طَوَى صَاحِبٌ صَاحِباً كَذَلِكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ
٢٧١ شَبَابٌ كَانَ لَمْ يَكُنْ وَشَيْبٌ كَانَ لَمْ يَزَلْ
٢٧٢ كَانَ حَسُورَ الصَّبَا عَنْ الشَّيْبِ حِينَ اشْتَعَلَ
٢٧٣ زُهْمًا أَمَلٍ مُونِقٍ أَطْلَّ عَلَيْهِ أَجَلَ
٢٧٤ أَعَاذِلْتِي أَقْصَرَى كَفَاكَ الْمَشِيبُ الْعَذْلُ
٢٧٥ بَدَا بَدَلًا بِالشَّبَا بِ لَيْتَ الشَّبَابَ الْبَدَلُ

ويقول ليلى (٤٩٥/١١٦/٢١) :

٢٧٦ إِنْ تَرَى رَأْسِي أَمْسَى وَاضِحاً سُلْطَ الشَّيْبُ عَلَيْهِ فَاشْتَعَلَ

٢- ب : ذم المشيب

٢- ب-١ : سوء منظره

حينما يحل المشيب يبدى الشعراء فزعهم منه ، وكراهيتهم لمقدمه فنظروه قذى في العين ، تعافه النفس ، وتعرض عنه الأنظار ، وهو ضيف غير مرغوب فيه يحل لامرئياً به . والأبيات التالية تحفل بدم المشيب وتعداد مساويه فيقول أبو تمام (١١٠/٧ ، ٣٧٠/٣/١٢) :

٢٧٧ غدا الشيب محتطاً بفؤدى خُطَّةً طريق الردى منها إلى النفس مهيج
٢٧٨ هو الزور يُجفَى والمعاشر يُجتوى وذو الإلف يُقلَى والجديد يُرَقَّعُ
٢٧٩ له منظرٌ في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
٢٨٠ ونحن نرجيه على الكره والرضا وأنف الفقى من وجهه وهو أجدهع

وفي هذا المعنى يقول الشريف (٨٧/٢٩) :

٢٨١ ضوء تَشَعَّشَعَ في سوادِ ذوائبي لا أَسْتَضِيءُ بهِ ولا أَسْتَصِيحُ
٢٨٢ بَعْتُ الشَّبابَ بهِ على مِقَّةٍ له يَبْعُ العَليمُ بأنَّه لا يَربحُ

ويقول الشاعر (١١٢/٢٤) :

٢٨٣ ها قد غدا من ثياب الشعر في كفن وقد تعفت معاني وجهه الحسن
٢٨٤ وكان يعرض عني حين أبصره فصرتُ أعرضُ عنه حين يبصرني !

ويقول المتنبي متمنياً لو كان بياض شعره خضاباً (٨٩/٥٧) :

٢٨٥ مَنى كَنٌّ لى أن البياض خضاب فيخفى بتبييض القرونِ شبابُ

وقد سبق أن رويناه لمنصور النمرى أبياتاً في الفصل الأول منها هذا البيت الذي يدم فيه الشيب

وقد جاء تحت رقم ٢١٠ :

ماواجه الشيب من عين وإن رمقت إلا لها نوبة عنه ومُرتَدَعُ

ويبدى الشاعر الهذلي أبو كبير كراهيته لسوء منظر المشيب (١٠٠/٥٠ ، الأبيات ٢-٧)

فيقول في مطلع إحدى قصائده :

٢٨٦ أزهير هل عن شَيْبَةٍ من مَقْصَرٍ أو لاسيلاً إلى الشباب المُدْبِرِ ؟

ويقول :

٢٨٧ فَقَدَ الشَّبابُ أبوكِ إلّا ذَكَرُهُ فَأَعْجَبَ لذلِكَ فِعْلَ دَهْرٍ وَاهِكِرِ
٢٨٨ أَزهيرُ وَيَحْكُ ماالرأسى كلما فَقَدَ الشَّبابُ أَتى بِلونٍ مُنْكَرِ
٢٨٩ ذَهَبَتْ بِشاشته وَأَصْبَحَ واضِحاً حَرَقَ المَفارِقَ كالْأبراءِ الأَعْفَرِ
٢٩٠ وَنُضِيتُ مِمَّا تَعْلَمِينَ فَأَصْبَحْتُ نَفْسِي إلى ، إخوانها كالمُقْدَرِ
٢٩١ فإذا دَعانى الداعيان تأيِداً وإذا أُحاولَ شوكتى لم أَبْصِرِ
٢٩٢ يالْهفِ نَفْسِي كان جَدَّةً خالِداً وبِياضِ وَجْهِكَ للترابِ الأَعْفَرِ !

وإن كراهية الشعراء لسوء منظر المشيب لتبلغ ببعضهم أنه يفضل أن يُقَطَّعَ رأسه بالسيف على

أن يخطها المشيب ، فنسمع المتنبي يقول من قصيدة قالها في صباه (١٧٨/٣/٣ - ١٧٩ ،

: (٣٧٣/٣/١٢)

٢٩٣ ضيفُ أَلَمَ برأسى غير محتشم والسيف أحسنُ فعلاً منه باللمم
 ٢٩٤ أبعد، بَعُدَتْ بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم
 ٢٩٥ بحبٍ قاتلتى والشيب تغذيتى هواى طفلاً، وشيبي بالغ الحلم
 فالمتنبى يفضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب به لأن الشيب أقبح ألوان الشعر، وهذا مأخوذ من قول البحترى الذى أوردناه تحت رقم ١٣٧٣ فى الفصل الخاص بالبحترى.
 ويقول السراج الوراق مضمناً أبياته صدر البيت الأول من أبيات المتنبى المذكورة أعلاه فيقول (٣٨١/٣/١٢):

٢٩٦ وباخل يشناً الأضيافَ حلَّ به ضيفٌ من الصبغ نزال على السقم
 ٢٩٧ سألته ما الذى يشكو فأنشدنى «ضيفُ أَلَمَ برأسى غير محتشم»
 وإن بياض المشيب لشيء تعافه النفس، ولكنه يصبح محبباً إذا كان البياض مما يميز أشياء أخرى يعشقها المرء، وفى ذلك يقول حافظ جميل الشاعر العراقى (٨٠/٣١):
 ٢٩٨ يالك من بيضاء حببت لى حتى بياض الشيب فى رأسى
 ومن طريف ما جاء فى ذم منظر الشيب الأبيات ٧ - ١٣ من درعية أبى العلاء المعرى التاسعة والعشرين، على لسان امرأة توصى ابنها بلبس الدرع وترك الزواج. يقول أبو العلاء (٢٠٠٣ - ٢٠٠٢/٥/١١):

٢٩٩ فجنَّ إلى المكارم والمعالى ولا تثقل مَطاك بعبء حنة
 ٣٠٠ فإنى قد كبرتُ وما كعابُ ملائمة عجوزاً مُقسِئَةً
 ٣٠١ ترى تنومها وترى ثغامى فتهزأ من منهبلةٍ مُسِنَّةٍ
 ٣٠٢ فإن يبيضُ بالحدثان فودى فقد أغدو بفؤدٍ كالدُّجَّةِ
 ٣٠٣ إذا ما السارحاتُ نظرن فيه عجبن لما سرحن وما دهنه
 ٣٠٤ إذا وقعت مداريها عليه سترن بجنح ليل أو دُفْنَه
 ٣٠٥ فلا تُطع الدوالِفَ مُرسلاتٍ فكم أوقعن فى أرض مجنَّة ا

٢-ب-٢: المشيب محنة

ومن الشعراء من يعدّ الشيب مصيبة من المصائب التى تحمل بالإنسان فيؤاخذ بينه وبين الفقر أو

المرض أو الزواج الفاشل ، أو بينها جميعاً كقول أبي المحاسن الحسن بن نوفل الحلبي من أبيات كتبها إلى وزير حلب ابن الموصول المشهور بالجدود (٨٧/٥٦) :

٣٠٦ ولاشكوت بما أشكو إليك به الفقر والشيب والتزويج والجرب

ويقول صاحب « الغصون الياقة » في ذلك : إن الوزير وجهه إلى الشاعر بصداد زوجته التي أراد تطليقها ، وما يشتري به جارية ، وما ينفقه عليها ، ويعاني به الشيب بالخضاب ، والجرب بالأدوية والأغذية :

ويقول ابن نباتة مؤاخيا بين الشيب وفقره (٢١٤/٢/١٦) :

٣٠٧ مشيب وإقتار هو الشيب ثانياً ألا هكذا يأتي الشقاء المكرراً

ويقول أيضاً (٢١٦/٢/١٦) :

٣٠٨ لقد أصبحت في حال يرق لمثلها الحجر

٣٠٩ مشيب وافتقار يد فلا عين ولا أثر

ومن الشعراء من يؤاخى بين الشيب وبين محن أخرى كالكلال ، والعرج . مثال ذلك قول

الشاعر (٣٦٥/١١٢/٢١) :

٣١٠ أنت الذي كلفتني رقي الدرج على الكلال والمشيب والعرج

ومنهم من يعتبر الشيب جناية الزمان على الإنسان فيقول الوزير المهلب (١٤/١١/٤) :

٣١١ رقي الزمان لفاقي ورئي لطلول تحرق

٣١٢ وأبالي ما أرتجي وأجار مما أتقى

٣١٣ فلأصفحن عما أتا ه من الذنوب السبق

٣١٤ حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي !

٢-ب-٣ : المشيب عيب وذنوب وهم

ويرى أبو العباس الزوقي أن الشيب كله عيب ، فيقول مقارناً بين الشباب والمشيب

(٦٧٩/٨/٤) :

٣١٥ قد رابني من شيبتي ريب وفل غرب صبوتي الشيب

٣١٦ وكان ثوب الشباب أحسن ملبوساً م بهاء فأخلق الثوب

٣١٧ من عابني بالمشيب قلت له : صدقت ؛ فالشيب كله عيبٌ

٣١٨ طلائع الشيب كلما طلعت شقَّ على ميت الصبا جيبٌ

ويرى العكبري أن الشيب ذنب ، فنسمعه يقول (٢٦٤١/٤/٤٦) :

٣١٩ كفاك بالشيب ذنباً عند غايته وبالشباب شفيعاً أيها الرجلُ

وليس الشيب عيباً أو ذنباً فحسب ؛ وإنما هو يقود إلى السفه ، كقول وائلة السدوسي

(٤٢٨/٨) :

٣٢٠ رأيْتُك لما شُيبتَ أدركك الذي يصيب سراة الأزدي حين تشيبُ

٣٢١ سفاهة أحلام وبخل ونائل وفيك لمن عاب المزون عيوبُ

والشيب كذلك سمَّ قاتل وإن كان سماً غير مؤلم ، كقول أعرابي (٣٢٥/٢/٤٩) :

٣٢٢ أرى الشيبَ مذجوزتُ خمسين دائباً يدبُّ ديب الصبح في غسقِ الظلمِ

٣٢٣ هو السمُّ إلا أنه غير مؤلم ولم أر مثل الشيب سماً بلا ألمٍ !

وإن من الشعراء من يشتد حزنهم لحلول المشيب حتى إنهم ليكون حزنًا وإشفاقاً ، فالشيب

عندهم غمٌ عظيم ، وهم مقيم ، وعبءٌ ثَقِيل ، فيقول منصور بن الفرج (٤/٢/١٤) :

٣٢٤ يا بياضاً أذرى دموعي حتى عاد منها سواد عيني بياضاً !

ويقول أبو الفتح البستي (٢٣/٢/١٦) :

٣٢٥ دع دموعي تسيل سيلاً بداراً وضلوعي يَصْلَيْن بالوجد ناراً

٣٢٦ قد أعاد الأسى نهاري ليلاً مذ أعاد المشيب ليلى نهاري !

ويقول ابن المعتز (٨٤/٧) :

٣٢٧ لا تدعني لصبحٍ إن الغبوق حبيبي

٣٢٨ فالليل لون شبابي والصبح لون مشيبي

غير أن من الشعراء من يرفض البكاء لحلول المشيب ، فيقول أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

(١٠١٨/١١/٤) :

٣٢٩ ولست أبكي لشيبٍ قد مُنيتُ به يبكي على الشيب من يأسى على القمر

ويرى الشعراء أن المشيب غمٌ ينزل بساحة المرء ، فيفسد عليه عيشه ، فيقول الشاعر مستخدماً

الجناس (١١٠/٧) :

٣٣٠ سألت من الأظبة ذات يوم طيباً عن مشيبي قال : بلغم
٣٣١ فقلت له على غير احتشام لقد أخطأت فيما قلت : بل غم

والمشيب بذلك يضيف إلى هموم الحياة همماً جديداً ، وفي ذلك يقول الشاب الظريف

(٤٤٢/٢/١٥) :

٣٣٢ حملت تسهّدي والشيب ، هذا على رأسي وذاك على عيوني

ويقول الشافعي رضي الله عنه (١١٠/٧) :

٣٣٣ ولذة عيش المرء قبل مشيبه وقد فئت نفسٌ تولى شبابها
٣٣٤ إذا اسودّ جلدُ المرء وابيض شعره تكدر من أيامه مُستطابها

ويقول ابن عبد ربه (٣٤٢/٦/١) :

٣٣٥ أطففت شرارة لهوى ولوت بشدة عدوى
٣٣٦ شعلٌ علونٌ مفارق ومضت بهجة سروي
٣٣٧ لما سلكت عروضها ذهب الزحاف بحزوي
٣٣٨ يأبها الشّادي صه ليست بساعة شدو

ويقول حبيب بن أحمد الأندلسي (٤٦٨/٥/٤) :

٣٣٩ ثلاثون من عمري مضيّن فما الذي أوّمل من بعد الثلاثين من عمري ؟
٣٤٠ أطايب أيامي مضيّن حميدة سراعاً ، ولم أشعر بهنّ ولم أدر
٣٤١ كأن شبابي والمشيب يروعه دجى ليلةٍ قد راعها وضحُ الفجر

ونجده هنا قد قرن الشباب بالليل في سواد لمة صاحبه ، والمشيب بالفجر في بياضها .

وإن المشيب ليجلب الأحزان ؛ إذ هو يبدل التشيب بالمرائي . وفي ذلك يقول ابن عبد ربه

(٨٥٣-٨٥٢/٩/٤) :

٣٤٢ طلق اللهو فؤادي ثلاثاً لا ارتجاع لي بعد الثلاث
٣٤٣ وبياضي في سوادٍ عذاري بدّل التشيب لي بالمرائي

والمشيب مع الهموم محنة ما بعدها محنة ، مقعد المرء عن بلوغ الأمان فيقول أبو فراس

الحمداني من قصيدة له وهو في أسر الروم إلى ابن عمه سيف الدولة يعتب ويشكو
(٣٥٧/٢/١٥ ، ١٠٨/٢/٤) :

٣٤٤ فلما مضى عصرُ الشبيبة كله وفارقني شرخُ الشباب ، فودَّعا
٣٤٥ تطلَّبتُ بين العتب والهجر فرجةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ ممَّنعا
٣٤٦ وصرتُ إذا مارمتُ في الخير لذةً تتبَّعتها بين الهموم تتبَّعا
٣٤٧ وهأنا قد حلَّى الزمان مفارقي وتوجَّني بالشيب تاجاً مرصَّعا
٣٤٨ فلو أننى مكنتُ فيما أريدُه من العيش يوماً لم أجِدْ في موضِعها

والمشيب من سوء بحيث يكون حجة للمرء وعذراً يلتمسه كقول الشاعر
(٤٤٧/١١٢/٢١) :

٣٤٩ كيف يرجون سقاطي بعدما لَفَّعَ الرأسَ مشيبٌ وصَلَعُ

والمشيب يدفع بالفارس المغوار إلى زوايا النسيان ، وبعد أن كان يُدعى إلى الحرب أصبح
لا يدعى إلا إلى السلم ، وفي ذلك يقول الشريف المرتضى من أبيات له (٣٧٥/٣/١٢) :

٣٥٠ يقولون لا تجزع من الشيب ضلةً وأسهمه إيأي دونهم تصمى
٣٥١ وإني مذ أضحي عذارى قراره أعادُ بلاسقم وأجنى بلا جرم
٣٥٢ وسيان بعد الشيب عند حبائبي وقفن عليه أو وَقَعْنَ على رسم
٣٥٣ وقد كنتُ ممَّن يشهد الحرب مرةً ويُرْمى بأطرافِ الرماح كما يرمى
٣٥٤ إلى أن علا هذا المشيب مفارقي فلم يدعني الأَقوامُ إلا إلى السلم

٢- ب- ٤ : المشيب طريق الردى

ومما يبعث على ذم المشيب وكرهيته أنه يرتبط في وجدان الناس والموت ، وهم يعدونه بداية
الطريق نحو المنية ، فقد قال سحيم بن حفص (٤٦٢/٨) : رأى إياس بن قتادة العبشمي شيبه
لحيته فقال : أرى الموت يطلبني وأراني لأفوته !

ويعبر الشعراء عن هذا المعنى ، فتزد في أشعارهم ألفاظ « الموت » و « المنية » و « الردى »
مقرونة بالشيب ، والنماذج على ذلك كثيرة ، فيقول الشاعر (٩٩/٢٨) .

٣٥٥ دب المشيبُ إلى الشبا ب ديبَ ذى ختلٍ مُسارقٍ
٣٥٦ إن المشيب طليعةً للموتِ فى كُلِّ الخلائقِ

ويقول آخر (١١٠/٧) :

٣٥٧ من شاب قد مات وهو حيّ يمشى على الأرض مشى هالك
٣٥٨ لو كان عمر الفتى حساباً لكان في شبيه كذلك

ويقول ابن نباتة من قصيدة يمدح بها المؤيد (١٥/٢/٤٥٣ - ٤٥٤) :

٣٥٩ مالى وللهو بعد مفارق قد نفرت غربانها بيزاتها
٣٦٠ والشيب في فودى يخط أهلة معنى المنون يلوح من نوناتها
٣٦١ سقياً لروضات الشباب وإن جنت هذى الشجون على قلوب جناتها

ويقول عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر عن غانية تعجبت من شبيه (١١٠/٧) :

٣٦٢ تضاحكت لما رأت شيباً تلالا غره
٣٦٣ قلت لها لا تعجبي أنبيك عندي خبره
٣٦٤ هذا غمام للردى ودمع عيني مطره

ويذكر القارئ أننا سبق أن روينَا أبياتاً لأبي تمام منها البيت التالى الذى أوردناه تحت رقم

: ٢٧٧

غدا الشيب مخططاً بفودى خطه طريق الردى منها إلى النفس مهيع

وما هو ذا أبو العتاهية يصف الخطوات التى تبدأ بهجوم المشيب وتنتهى بالموت فيقول

(٢٢٠/٢/١٥) :

٣٦٥ لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تباب
٣٦٦ ألا ياموت لم أر منك بدءاً أتيت وما تحيف وما تحابى
٣٦٧ كأنك قد هجمت على مشيى كما هجم المشيب على شبابى

ويقول أبو العتاهية (٣٢٧/٢/٤٩) :

٣٦٨ نعى لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب
٣٦٩ فكن مستعداً لداعى المنون فكل الذى هو آت قريب
٣٧٠ وقبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب
٣٧١ يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب؟

وفي علاقة المشيب بالموت ووجوب الإعداد للآخرة يقول البديع الهمداني (١٠٩/٧) :

٣٧٢ يا من يعلل نفسه بالباطل نزل المشيب فرحاً بالنازل
٣٧٣ إن كان ساءك طالعات بياضه فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل
٣٧٤ لا تبكين على الشباب وفقده لكن على الفعل القبيح الحاصل
٣٧٥ يا غافلاً عن ساعة مقرونة بنوادر وصوارخ وثواكل
٣٧٦ قدم لنفسك قبل موتك صالحاً فالمت أسرع من نزول الهاطل !

ويقول ابن الرومي (١٩٢/١٧ - ١٩٣) :

٣٧٧ وقلت مسلماً للشيب أهلاً بهاد المخطئين إلى الصواب
٣٧٨ ألت مبشري في كل يوم يوشك ترحلي إثر الشباب
٣٧٩ وأنت وإن فتكت بحب نفسي وصاحب لذتي دون الصحاب
٣٨٠ فقد أعتبتني وأمت حقدى بحثك خطفه عجلأ وكابي

ويرى عدى بن زيد العبّادي أن الشيب نذير الشر فيقول (٣٧٨/٨) :

٣٨١ وابيضاض السواد من نذر الشر م وهل مثله لحي نذير ؟

ومثل ذلك النذير يدفع الشاعر إلى البكاء ، فيقول محمود الوراق (٣٤٨/٢/١) :

٣٨٢ بكيّت لقرب الأجل وبُعد فوات الأمل
٣٨٣ ووافد شيب طرا بعقب شباب رحل
٣٨٤ شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل
٣٨٥ طواك بشير البقا وجاء بشير الأجل
٣٨٦ طوى صاحب صاحياً كذاك انتقال الدول

ويجد ابن عبد ربه الأندلسي في الشيب شاهداً على المنية فيقول (٣٥١/٢/١) :

٣٨٧ أطلال هوك قد أقوت مغانيها لم يبق من عهدا إلا أثافيها
٣٨٨ هذى المفارق قد قامت شواهدا على فنائك والدنيا تزكّيها
٣٨٩ الشيب سيفتجة فيها معنونة لم يبق للموت إلا أن يسجّيها

ولابن عبد ربه أبيات أخرى في هذا المعنى نفسه ، فهو يقول (٣٥١/٢/١) :

٣٩٠ نجومٌ في المِفارِق ما تغورُ ولا يجرى بها فَلَكَ يدورُ
 ٣٩١ كَأَن سوادَ لَمَّتْهُ ظلامُ أغار من المشيب عليه نورُ
 ٣٩٢ ألا إن القتير وعيدُ صدق لنا لو كان يرجونا القتير
 ٣٩٣ نذيرُ الموت أرسله إلينا فكذبنا بما جاء النذيرُ
 ٣٩٤ وقلنا للنفوس لعلَّ عُمراً يطول بنا وأطولهُ قصير
 ٣٩٥ متى كذبت مواعيدَها وخانت فأولها وآخرها غُرور

ويقول أيضاً (٨٦١/٩/٤) :

٣٩٦ وثلاث شَيَّاتٍ نَزَلْنَ بمفرقٍ فعلمتُ أن نزولهنَّ رحيل
 ٣٩٧ طلعت ثلاثٌ في نزولٍ ثلاثةٍ واشٍ ووجهٌ مراقبٍ ومقيل
 ٣٩٨ فعذلنني عن صبوتي متدللاً ولقد سمعتُ بدلةَ المعدول

وقد سبق أن روينا لابن عبد ربه في هذا المعنى البيت التالي في الفصل الأول تحت رقم

١٤٢ :

أما الشباب فودَّعت أيامهُ ووداعهنَّ موَكَّلٌ بوداعي

ونجد غسانَ خال الغدار يعدد علامات اقتراب المنيّة ، فيجعل بدايتها المشيب ويقول

(٤٨٣/٨) :

٣٩٩ اِبْيَضُ مني الرأسُ بعد سوادٍ ودعا المشيب حليلتي ببعاد
 ٤٠٠ واستحصد القرنُ الذي أنا منهم وكفى بذاك علامة لحصادي

ويعمد الشعراء في بعض الأحيان إلى الفكاهة يخففون بها وطأة الشعور بأن الموت يجيء في أعقاب المشيب ، فيقول القاضي سند بن عنان يصف لنا كيف اجتز أول شعرة بيضاء أشرقت بمفرقه ، خوفاً من الختف ، فهزأت به هذه الشعرة (٦٥/٣٢) :

٤٠١ وزائرة حَلَّتْ بمفرقي فبادرتها بالنتف خوفاً من الختف
 ٤٠٢ فقالت على ضعفي استطلت ووحدتني رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

٢- ج : عزوف الغواني وتعيرهن

إن أشد ما يحزن الشاعر مما يفعله المشيب هو عزوف الغواني وصدودهن من بعد إقبال ،

وما يلقاه منهم من هزء وسخرية ، مما يجعل الشاعر يقف دائماً موقف الدفاع عن ذلك الضيف الثقيل الذي حلّ برأسه ففرق بينه وبين أحبته . ويحفل الشعر العربي بماذج تتناول هذا كله مع تنوعات متعددة .

يقول السراج الوراق (٣٨١/٣/١٢) :

٤٠٣ وكنتُ حبيباً إلى الغانيات فالبسني الشيبُ بُغضَ الحبيب
٤٠٤ وكنتُ سراجاً بليل الشباب فأطفأ نوري نهار المشيب

ويقول عمر بن أبي ربيعة (١٦٤/٢/١/٥) :

٤٠٥ صرمتُ حبلك « البغوم » وصدّتْ عنكَ في غير ريبة أسماء
٤٠٦ والغواني إذا رأينك كهلاً كان فيهن عن هواك التواء !

ولحمود الوراق في هذا المعنى أبيات جامعة ، فهو يقول (٣٤٩/٢/١) :

٤٠٧ لا تطلبن أثراً بعين فالشيبُ إحدى الميشتين
٤٠٨ أبدى مقابح كل شين ومحا محاسن كل زين
٤٠٩ فإذا رأيت الغانيا ترأين منك غراب بين
٤١٠ ولربما نافسن في لك وكن طوعاً لليدين
٤١١ أيام عممك الشبا ب وأنت سهل العارضين
٤١٢ حتى إذا نزل المشي ب وصرت بين عامتين
٤١٣ سوداء حالكة وبى ضاء المناشير كاللجين
٤١٤ مزج الصدود وصاهن م فكن أمراً بين بين
٤١٥ وصبرن ما صبر السوا د على مصانعة ودين
٤١٦ حتى إذا شمل المشي ب فجاز قطر الحاجبين
٤١٧ فتقين شراً ثقية وأخذن منك الأطينين
٤١٨ فاقن الحيا أوسل نف سك أوفناء الفرقدين
٤١٩ ولئن أصابتك الخطو ب بكل مكروه وشين
٤٢٠ فلقد أمنت بأن يصيب بك ناظر أبداً بعين

ويمضي الشعراء في الحديث عما فعله المشيب من عزوف الغواني وإعراضهن ، فيقول مسلم بن

الوليد (٢٢٩/٦/١) :

٤٢١ ألا أنفَ الكواعب عن وصالى غداة بدا لها شيبُ القذار

ويقول علقمة بن عبده (١١٣/٧/١) :

٤٢٢ فإن تسألوني بالنساء فإنني عليمٌ بأدواء النساء طيبٌ

٤٢٣ إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالهُ فليس له في وُدِّهن نصيبٌ

٤٢٤ يُردن ثراءَ المالِ حيث علمنه وشرخُ الشبابِ عندهن عجيبٌ

ومما يتفق مع قول علقمة هذا - ما روى عن بنات حرثان ذى الإصبع حين سمعن أبوهن يتحدثن عن أمانيهن في زوج المستقبل ، إذ قالت كبرى البنات الأربعة عمن تتمنى أن يكون زوجاً لها (٣٨٢/٢/٦) :

٤٢٥ ألا ليت زوجي من أناسِ ذوى غنى حديثُ الشبابِ طيبُ الريحِ والعطرِ

ويقول محمد بن أمية (٣٥٠/٢/١) :

٤٢٦ - رأين الغواني الشيب لاح بعارضى فأعرضن عني بالحدود النواضر

٤٢٧ وكنَّ إذا أبصرني أو سمعن بي دبَّينَ فرقعن الكوى بالمحاجر

ويقول المتنبي من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي (١٦٠/١/١٥) :

٤٢٨ ومنْ خَبَرَ الغواني فالغواني ضياءٌ في بواطنه ظلامٌ

٤٢٩ إذا كان الشبابُ السكر والشيبُ مَهماً فالحياة هي الحِمامُ

وفي صدودهن يقول حبيب الطائي (٣٤٩/٢/١)

٤٣٠ نظرتُ إلىَّ بعين مَنْ لم يَعْدِلْ لما تمكن حبُّها من مَقْتَلِي

٤٣١ لما رأتُ وضح المشيب بلمتي صَدَّتْ صدودَ بجانب متحمِّل

٤٣٢ فجعلتُ أطلبُ وصلها بتلطفٍ والشيبُ يغمزها بالأُ تفعلي

وقال بعضهم في جارية اسمها « الثريا » (٦٥٢/٢/١١) :

٤٣٣ ولما أن تنفَّسَ صُبْحُ شيبى طوت عني رداءَ الوصل طيًّا

٤٣٤ تولت مُنيّ عني فراراً ترى وصلى لدى الفتيات غيًّا

٤٣٥ فقلتُ هجرتِ سيدتي فقالت : وهل تبقى مع الصُّبحِ الثريا ؟

وقال أعرابي من بني أسد (١٥٥/٧/١) :

٤٣٦ تمنيتُ لو عاد شرحُ الشبابِ ومَنْ ذا على الدهر يُعطى المنى ؟
٤٣٧ وكنتُ مكيناً لدى الغانياتِ فلا شيء عندى لها ممكنا
٤٣٨ فأما الحسان فيأبينني وأما القباحُ فأبى أنا !

وقال الشاعر (٤٢٩/٨) :

٤٣٩ رأيتُ الغانياتِ نفرن مني نفورَ الوحشِ من رام مفيق
٤٤٠ رأين تغيري وأردن لدناً كغصن البان ذى الفن الوريق
ويقول جرير (٧٦/٣٠) :

٤٤١ بكر العواذل بالملامة بعدما قطع الخليطُ بساجر لبيينا
٤٤٢ أمسين إذ بانَ الشبابُ صوادفاً ليت الليالى قبل ذاك فنيينا

ويقول ابن مقبل فى احتقار الغواني للأشيب (١٥٨/١٠٣/٢١) :

٤٤٣ ما للغواني إذا ما جئن تحدجنى بالطرف تحسب شيبى زادنى ضعفا
ويقول الشاعر وهو يزواج بين المشيب وصدود الغواني ، وبين الشباب ووصالهن
(١٩١/٢٤) :

٤٤٤ فصبحُ الوصال دليل الشبابِ وصبح المشيب دليل الصدود !

ويقول ابن الرومى من قصيدة ينصح فيها عبيد الله بن سليمان بن وهب (١٠٣/٥٨) :

٤٤٥ فرّ منك الغزالُ يالابس الشيب ب فرارَ الغزالِ من صيَّاده !
٤٤٦ وإذا اصطادك المشيبُ فطارد ت غزلاً فليست بالمصطَّاده !
٤٤٧ لست عند الطرادِ من قانصيه أنت عند الطراد من طراده !

وفى هذا المعنى يقول شرف الدين بن عبد العزيز الأنصارى (١٢١/٢٤) :

٤٤٨ تولّى شبّابى فولّى الغرامِ ولازم شيبى لزوم الغريم
٤٤٩ ولو لم تصدّنى بازِيه لما صارمتنى مهارة الصريم

ويقول مهيار الديلمى عن صدود الغواني بسبب المشيب (٢٥٠/٢٢) :

٤٥٠ ما أنكرت إلا البياض فصَدَّتِ وهى التى جنت المشيب هى التى
٤٥١ غراء يشغف قلبها فى نحرها وجبينها ما ساءنى فى لعتى

ويقول محمود سامي البارودي (٢٥٨/٢٢) :

٤٥٢ هجرت ظلوم وهجرها صلة الأسى فتي تجود على المتيم باللقا ؟
٤٥٣ جزعت لراعية المشيب ومادرت أن المشيب لهيب نيران الجوى
٤٥٤ ولوت بوعدك بعد طول ضمانه ومن الوعود خلافة ما تقتضى

ويقول الأخطل من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان (٦٥/٤٤) :

٤٥٥ يا قاتل الله وصل الغانيات إذا أيقن أنك ممن قد زها الكبر
٤٥٦ أعرضن لما حنى قوسى مؤثرها وبيض بعد سواد اللمة الشعر
٤٥٧ ما يرعوين إلى داع لحاجته ولا لهن إلى ذى شبة وطر

ويقول عبد الله بن قيس الرقيات في مطلع قصيدة يرثى بها أقاربه (٦٥/٤٤) :

٤٥٨ ذهب الصبا وتركت غيتيه ورأى الغواني شيب لمتيه
٤٥٩ وهجرنى وهجرتهن وقد غيت كرائمها يطفن بيه
٤٦٠ إذ لمتى سوداء ليس بها وضح ولم أفجع بإخوتيه

ويقول من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (٦٨/١/١٥) :

٤٦١ لا بارك الله فى الغواني فما يصبحن إلا لهن مطلب
٤٦٢ أبصرن شيئاً علا الذؤابة فى الرأس م حديثاً كأنه العطب
٤٦٣ فهن ينكرن ما رأين ، ولا يعرف فى لداق اللعب
٤٦٤ ماضر لو غدا بحاجتنا غاد كريم أوزائر جنب

وينسب لبشار بن برد هذه الأبيات (٢٣٥/٦/٥٢) :

٤٦٥ يا مرجبا ألفاً وألفاً بالكاسرات إلى طرفاً
٤٦٦ رجح الروادف كالظبا تعرضت حوا ووطفا
٤٦٧ أنكرن مركبى الحما ر كن لا ينكرن طرفاً
٤٦٨ وسألنى أين الشبا ب فقلت بان وكان حلفاً
٤٦٩ أفنى شبابى فانقضى حلف النساء تبعن حلفاً
٤٧٠ أعطيتهن مودتى فجزينى كذباً وخلفاً

وللشريف المرتضى عدة أبيات تناول فيها عزوف الغواني وإنكارهن المشيب ، منها قوله

(٣٧٦/٣/١٢) :

| | | |
|-----|------------------------------|---------------------------|
| ٤٧١ | وغرائر أنكرن شيب ذؤابتى | والبيض منى عندهن السُّودُ |
| ٤٧٢ | يهوى الشباب وإن تقادم عهدهُ | ويملّ هذا الشيب وهو جديدُ |
| ٤٧٣ | لا يبعدن عهد الشباب ومن جوى. | أدعو له بالقرب وهو بعيد |
| ٤٧٤ | أيام أرمى باللحاظ وأرتى | وأصاد فى شرك الهوى وأصيدُ |

وقوله فى هذا المعنى (٣٧٦/٣/١٢) :

| | | |
|-----|-----------------------------|------------------------------|
| ٤٧٥ | والغانيات لذى الشباب حبايبُ | وإذا المشيب دنا فهنّ أعادى ا |
| ٤٧٦ | شعرٌ تبدّل لونه فتبدّلت | فيه القلوب عداوة بوداد ا |

كذلك نجد أن ابن عبد ربه قد أكثر من قول الشعر فى المشيب وفيما فعله ، فيقول عن عزوف

الغواني (٢٩٥/٦/١) :

| | | |
|-----|---------------------------|------------------------------|
| ٤٧٧ | حال الزمان له فبدّل حالاً | وكسا المشيب مفارقاً وقذالاً |
| ٤٧٨ | غنيت غواني الحى عنك وربما | طلعت إليك أهلةً وجمالاً |
| ٤٧٩ | أضحى عليك حلالهنّ محرماً | ولقد يكون حرامهنّ حلالاً |
| ٤٨٠ | إن الكواعب إن رأيته طاويا | وصلّ الشباب طوين عينك وصالا |
| ٤٨١ | « وإذا دعوتك عمهنّ فإنه | نسبٌ يزيدك عندهنّ خبالاً » ا |

ويقول (٢٩٠/٦/١) : (٨)

| | | |
|-----|---------------------------------|--------------------------------|
| ٤٨٢ | يا طالباً فى الهوى ما لا يُنالُ | وسائلاً لم يعفِ ذلّ السؤالُ |
| ٤٨٣ | ولّت ليالى الصبا محمودّة | لو أنّها رجعت تلك الليال (٩) ا |
| ٤٨٤ | وأعقبتهما التى واصلتها | بالحجر لما رأت شيب القذالُ |
| ٤٨٥ | لا تلمس وصلةً من مُخلفٍ | ولا تكن طالباً ما لا يُنالُ |
| ٤٨٦ | يا صاح قد أخلفت أسمائى ما | كانت تمنيك من حسن الوصالُ |

(٨) وردت هذه الأبيات فى يتيمة الدهر ٨٤٢/٩ مع اختلاف طفيف .

(٩) رقم هذا البيت مع أنه سبق وروده فى ١ - د (البكاء على الشباب) تحت رقم ١٢١ .

ويقول الشريف الرضى (٣٧٣/٣/١٢) :

٤٨٧ ضاع الشباب فقل لى أين أطلبه ؟ وازورّ عن نظرى البيض الرعايد
٤٨٨ وجرّد الشيب فى فودى أبيضه ياليتّه فى سواد الشعر مغمود
٤٨٩ بيض ومسود برأس لا يسلطها على الذوائب إلا البيض والسود
ويتحدث الشعراء عن عبوس الغوانى إذ يرين المشيب فيقول أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى

(١٠٠٨/١١/٤) :

٤٩٠ وَقَفَّتْنِي مَا بَيْنَ هُمَّ وَبُوس وَنَتَّ بَعْدَ ضِحْكَةٍ بَعْبُوس
٤٩١ وَرَأَتْنِي مَشْطَتٍ عَاجًا بِعَاجٍ وَهِيَ الْآبَنُوسُ بِالْآبَنُوسِ
والشاعر وهو يتحدث عن عزوف الغوانى ، يشكو تغير معاملتهن : فأحاديثه لم تعد تروق لهن
أو تلقى لديهن آذاناً مصغية ، وأصبحن يعجبن منه بدلاً من أن كنّ يعجبن به . وهذا ما يعبر عنه
ابن الرومى حين يقول وهو يتحسر أيضاً على مضي الشباب (٤٩/٢/١٥) :

٤٩٢ أَيَّامٌ لَهْوَى هَلْ مَوَاضِيكَ عَوْدُ؟ وَهَلْ لَشَبَابٍ ضَلَّ بِالْأَمْسِ مَنَشْدُ؟
٤٩٣ أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي ، وَقُوسَتُ قَنَاتِي ، وَأَضَحَتْ كِدْنَتِي تَمَدُّدُ
٤٩٤ وَلَدَّتْ أَحَادِيثُ الرِّجَالِ ، وَأَعْرَضْتُ سُلَيْمِي وَرِيًّا عَنْ حَدِيثِي وَمَهْدَدُ
٤٩٥ وَبُدِّلَ إِعْجَابُ الْغَوَانِي تَعْجِبًا فَهِنَّ رَوَانٍ يَعْتَبِرْنَ وَصَدَدُ
وفى بيت صنعه أبو عمرو بن العلاء وأدخله فى شعر الأعشى يقول

(١٠١) (١٥٧/٦/١، ٣٨/٢/٦)

٤٩٦ وَأُنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتَ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةَ

ويقول الشريف المرتضى (٣٧٤/٣/١٢) :

٤٩٧ وَالشَّيْبُ دَاءٌ لِرَبَاتِ الْحِجَالِ إِذَا رَأَيْنَهُ وَهُوَ دَاءٌ مَالَهُ آسِي
٤٩٨ يَا قَرِينِ وَشَيْبِي فَاحْمِ رَجُلِي وَبُعْدَهُنَّ وَشَيْبِي نَاصِعِ عَاسِي
٤٩٩ مَاذَا يَرِيكَ مِنْ بَيْضَاءٍ طَالَعَةٍ جَاءَتْ بِحُلْمِي وَزَانَتْ بَيْنَ جَلَاسِي

والشيب عيب فى نظر الغوانى ، وهن لا يفتأن يعيّن الرجال به ، فيقول الشريف المرتضى

(٣٧٥/٣/١٢) :

(١٠) جاء فى العقد الفريد (١٥٧/٦) أن الذى أدخل البيت فى شعر الأعشى هو حماد الراوية .

- ٥٠٠ يا بياض المشيب لونك لو أن صفت رائيك حالك غريب
٥٠١ صد من غير أن يمل وما أن سكر شيئاً سواك عنى الحبيب
٥٠٢ يا مضيئاً في العين تسود منه كل يوم جوانح وقلوب
٥٠٣ ليس لي مذ حلت ياشيب في رأ سى كرهاً عند الغواني نصيب
٥٠٤ رحن يدعوني معيياً وينبذ ن عهودى وأنت تلك العيوب

وفي هذا المعنى يقول مهيار الديلمي من أبيات له (٣٧٨/٣/١٢) :

- ٥٠٥ إذا لم يرع عندكم الوداد فسيان القرابة والبعاد
٥٠٦ امعترض صدودك أم سعد بعض الشر أم خلق وعاد
٥٠٧ وعبت وليس غير الشيب شيئاً إذا دله بعيب أو أكاد
٥٠٨ وما منى البياض فتحرمينى به ذنبا ولا منك السواد
وليس الشيب في نظر الغواني عيباً فحسب ، وإنما هنّ يعتبرنه ذنباً ، ويظل الشاعر يحاول أن

يدفع عنه هذا الذنب ، فيقول أبو تمام الطائي (٧١٦/٢/١١، ٣٧٠/٣/١٢) :

- ٥٠٩ يانسب الثغام ذنبك أبى حسناى عند الحسان ذنوبا
٥١٠ ولئن عبن ما رأين لقد أن سكرن مستنكراً وعبن معييا
٥١١ لو رأى الله أن في الشيب فضلاً جاورته الأبرار في الخلد شييا

ويقول الشريف الرضى (٣٧٣/٣/١٢) :

- ٥١٢ من شافعى وذنوبى عندها الكبر؟ إن المشيب للذنوب ليس يغتفر
٥١٣ رأت بياضك مسوداً مطالعه ما فيه للحب لا عين ولا أثر
٥١٤ وما عليك ونفسك فيك واحدة إذا تغير في ألوانه الشعر

ويقول الشريف الرضى أيضاً (٣٧٣/٣/١٢) :

- ٥١٥ ما لقائى من عدوى كلقائى من مشيبى
٥١٦ وبياض هو عند الـ بيض من شر ذنوبى

ويقول السيد محسن الأمين الحسينى العاملى (٣٨٠/٣/١٢ - ٣٨١) :

- ٥١٧ أفبعد ما ابيض القidal وشابا ترجو لوصل الغانيات إيابا
٥١٨ هيات فاتك ما طلبت وقطعت بيض الكواعب دونك الأسبابا

- ٥١٩ كانت وأوجهها إليك بواسم فاليوم يصرفن الوجوه غضابا
٥٢٠ والشيب ذنب ماله من توبة ولربما اعتذر المسيء وتابا
٥٢١ لهن على عصر الشباب مضى ومن لى بالحمامة أن تعود غرابا

ويروى للشريف المرتضى عدة أبيات في هذا المعنى ، فهو يقول (٣٧٨/٣/١٢) :

- ٥٢٢ وتعجبت للشيب وهو جناية لدلال غانية وصد صدوف
٥٢٣ وأحاطت الحسناء بى تبعاته فكأنما تفويفه تفويفى
٥٢٤ هو منزل قد بدلته بغيره وهوى الفتى فى المنزل المألوف

ويقول (٣٧٧/٣/١٢) :

- ٥٢٥ عجت لشيب فى عذارى طالعا عليك وماشيب امرئ بعجيب
٥٢٦ وما كنت أخشى أن تكون جناية الـ مشيب برأسى فى حساب ذنوبى
٥٢٧ ولا عيب لى إلا المشيب وجدا إذا لم يكن شيئا سواه عيوبى

ويقول (٣٧٦/٣/١٢) :

- ٥٢٨ لا مرحبا بالشيب أظلم باطنى لما تجللى وأشرق ظاهرى
٥٢٩ شعر أبى لى فى الحسان إصاحاة يوم العتاب إلى قبول معاذرى
٥٣٠ لا ذنب لى قبل المشيب وإنى لمؤاخذ من بعده بجرائر

ويقول متوسلاً ومدافعاً (٣٧٨/٣/١٢) :

- ٥٣١ ليس المشيب بذنب فلا تعديه ذنبا
٥٣٢ إن كنت بدلت لونا فما بدلت حبا
٥٣٣ وكلما شاب رأسى نما غرامى وشبا

ويقول وهو يتحسر أيضاً على الشباب (٣٧٥/٣/١٢) :

- ٥٣٤ ويبض لواهن المشيب عن الهوى فأنزرن من وصلى وأوسعن من هجرى
٥٣٥ وألزمنى ذنب المشيب كأنما جنته يداى عامداً لايد الدهر
٥٣٦ لحاكن ربى إنما الشيب فسحة لما فات فى شرح الشيبة من أمر
٥٣٧ سقى الله أيام الشيبة ريها ورعيا لعصر بان عنى من عصر

٥٣٨ ليالى لا يعدو جمالى منيتى ولم ترد الحسناء نهى ولا أمرى
٥٣٩ وإذ أنا فى حبِّ القلوب محكم وأفئدة البيض الكواعب فى أسرى

وليس عزوف الغوانى هو كل ما يؤلم الشاعر ، وإنما ما يؤلمه أيضاً هزؤهن وتعييرهن وشماتهن
من ذلك ما أنشده الأصمعى عن بعض الأعراب (٤٤٦/٨ - ٤٤٧) :

٥٤٠ ألا قالت الحسناء يومَ لقيتها كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا^(١١)
٥٤١ رأت ذا عصا يمشى عليها وشيبة تقنع منها رأسه ما تقنعا
٥٤٢ فقلت لها : لا تهزنى بى فقلما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا

وقول الشريف المرتضى (٣٧٧/٣/١٢) :

٥٤٣ تقول لى ودموع العين واكفة خريدة كرهت فقد الشيبة لى
٥٤٤ برُد الشباب ببرد الشيب تجعله مستبدلاً بشما عوضت من بدل
٥٤٥ شمر ثيابك من لهُو ومن أشر وعد وراءك عن وجد وعن غزل

وقول عبد الله بن قيس (٣٥٠/٨) :

٥٤٦ بكرت على عواذلى يلحيني وألومهنه
٥٤٧ ويقلن شيب قد علا لك وقد كبرت فقلت إنه^(١٢)

وفى هذا المعنى يقول ابن عبدربه (٧١٣/٨/٤) :

٥٤٨ بكرت على عواذلى تلحيني وعلى الذى لم يعدنى أعديني
٥٤٩ أيها عليك ، فقد كبرت عن الصبا ونهى المشيب عن الذى تنهينى
٥٥٠ أنى وكيف رأين تغيرى عن عهدهن إذا العيون رأينى
٥٥١ وعلى مفارقة الشباب شمتن بى وعلى معاداة الصبا عادينى

(١١) وردت الأبيات فى خزانة الأدب ٨٩/٢ - ٩٠ على النحو التالى :

ألا قالت الحسناء يومَ لقيتها أراك حديثاً ناعم البال أفرعا
فقلت لها : لا تنكرينى فقلما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا

(١٢) جاء شرح ذلك فى مختار الصحاح (٣/٢٣) على النحو التالى : أى أنه كما تفلن . قال أبو عبيد : وهذا اختصار من كلام العرب يكتفى منه بالضمير لأنه من علم معناه .

وعن هزء الغوانى بالأشيب يقول عبد الرحيم الزلالي (٤٦١/٥/٤) :

٥٥٢ ضحكت أسماء من ذى لمة ضاحك الأشيب فيه الأشياء

٥٥٣ إنما يعرف أيام الصبا من صبا في غير أيام الصبا

ويقول السرى الرقاء مشبها بياض الشعر بالعاج وسواده بالآبنوس (١٠٠٨/١١/٤) :

٥٥٤ رأت شيباً يضاحكها ، فصدت وكان جزاؤه منها العبوسا

٥٥٥ وقالت إذ رأت للمشط فيه سواداً لا يشاكله نفيسا

٥٥٦ تلقى العاج منك بمشط عاج ودع للآبنوس الآبنوسا

ومثل ذلك قول صاحب (١٠٠٨/١١/٤) :

٥٥٧ هات مشطاً إلى وليك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرؤوس

٥٥٨ وإذا ما مشطت عاجاً بعاج فامشط الآبنوس بالآبنوس

ويقول بعضهم وهو يكيل للمستهزئة الصاع صاعين (٣٨١/٣/١٢) :

٥٥٩ قالت وقد راعها مشيبى كنت ابن عم فصرت عما

٥٦٠ فقلت هذا وأنت أيضاً قد كنت بنتاً فصرت أما

ولا يفتأ الشعراء يدخلون في جدل وحوار مع الغوانى حين يجدون إعراضهن بعد حلول

المشيب ، وهم في هذا يقفون موقف الدفاع عن المشيب فنسمع أبا العلاء المعرى يقول

(٦٥٢/٢/١١ ، الأبيات ٢ - ٤) :

٥٦١ هي قالت لما رأت شيب رأسى وأرادت تنكراً وازورارا

٥٦٢ أنا بدر وقد بدا الصبح فى رأى سك والصبح يطرد الأقمارا

٥٦٣ لست بدرأ وإنما أنت شمس لأترى فى الدجى وتبدو نهارة

كذلك يقول الشاعر (٣٤٩/٢/١) :

٥٦٤ صدت أمانة لما جئت زائرهما عنى بمطروفة إنسانها عرق

٥٦٥ وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها كذاك يصفى بعد الخضرة الورق

ويقول أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن أحمد ولد ابن طباطبا (٦٥٣/٧/٤) :

٥٦٦ صدفت عنا نوار ولقد كانت تزور

- ٥٦٧ ثم قالت : كيف أودى ذلك الغصن النضير ؟
 ٥٦٨ وشباب يتللا فيه للناظر نور
 ٥٦٩ قلت : إن أنصت هذا لابن خمسين كثير

ويقول الشريف المرتضى من قصيدة له ، وفيها أيضاً يذم الشباب ويستهن الخصاب

(٣٧٤/٣/١٢) :

- ٥٧٠ يا هند إن أنكرت لونَ ذوائبي فكما عهدت خلأني وطرائقي
 ٥٧١ ووراء ما شأته عينك خلة ماشئت من خلقي يسرك رائقي
 ٥٧٢ ومعي شيب العذار وما درى أن الشباب مطية للفاسق
 ٥٧٣ ويقول لو غيرت منه لونه هيات أبدل مؤمناً بمنافق !

ونسلمع مهيار الديلمي يقول (٣٧٩/٣/١٢) :

- ٥٧٤ عذولك في فعيروك سريرة ورأيت شيباً فاستحلت عيانا
 ٥٧٥ عذل يرى عدلاً وجور ذوائب سموه لي عزاً فجر هوانا
 ٥٧٦ ما غيرت بالشيب لوناً لمتي حتى تغير صاحبي ألوانا
 ٥٧٧ بيضاء سودت الصحيفة عنده واستعجلته بوصلها الهجرانا
 ٥٧٨ إن يجنب منها الهشيم مصوحاً فما اجتني ريعانها ريحانا

ويقول المزار بن منقلد (١٤٨/٢٢) :

- ٥٧٩ عجب خولة إذ تنكرني أم رأت خولة شيخاً قد كبر
 ٥٨٠ إن ترى شيئاً فإني ماجد ذو بلاء حسن غير غمر

ويقول أبو العلاء المعري في درعته الخامسة عشرة (١٩٠٨/٥/١١) :

- ٥٨١ يا أخت نضلة هل يسوءك أننا بات المطي بنا إليك يسوءك
 ٥٨٢ مسي البياض لعل شرخاً عائد أوعل نشارك بالمشيب يصوك

ويرد العلوي على من عيرته بالمشيب قائلاً (٣٥٠/٢/١) :

- ٥٨٣ عيرتني شيب رأسي نوار يابنة العم ليس في الشيب عار
 ٥٨٤ إنما العار في الفرار من الزحـف ف إذا قيل أين أين الفرار ؟

- كذلك يرد ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي قائلاً (٥٤/٥٥) :
- ٥٨٥ وقائلة أراك على التّصابي وغصنُ العُمرُ دبَّ به الذبولُ
٥٨٦ وهذا الشيب أنجمه أنارت وطالعها لصاحبها أفول
٥٨٧ فقلت لها ودمعُ العين مني : على تلك النجوم له مسيل
٥٨٨ أصيلُ العمر أتركه ضياعاً إذ الأوقاتُ أطيبها الأصيل
ومن الشعراء من لا يبعث المشيب اليأس في نفسه ، فنسمع جريراً يقول من قصيدته التي يمدح
بها عبد الملك بن مروان (١٠٥/٢/١٥ ، البيت الثاني) :
- ٥٨٩ تقولُ العاذلاتُ علاكُ شيباً ! أهذا الشيب يمنعي مراحى ؟
- غير أن الشريف المرتضى حين سئل نقض بيت جرير هذا قال (٣٧٦/٣/١٢) :
- ٥٩٠ وما مرج الفتي تزورُ عنه خدودُ البيض بالحدق الملاح
٥٩١ ويصبح بين إعراض مبين بلا سبب وهجران صراح
٥٩٢ وقالوا : لا جناح فقلت : كلاً مشيى وحده فيكم جناح
٥٩٣ سقى الله الشباب الغضّ راحاً عتيقا أوزلاً مثل راح
٥٩٤ ليالى ليس لى خلق معيب فلا جدّى يُذمُّ ولا مزاحى
٥٩٥ وإذ أنا من بطالات التصابي ونشوات الغواني غير صاحى
٥٩٦ وإذ أسماعهن إلى ميل يصخن إلى اختياري واقتراحى

٢ - د : الدفاع عن المشيب .

ويواجه الشاعر حلول المشيب وعزوف الغواني وتعييرهن باتخاذ موقف يدافع فيه عن المشيب ، فنجدّه يبرز محاسنه ويعددّها ، ويحاول أن يثبت حتمية المشيب بالنسبة للبشر . وحين يخشى أن تكون حجته داحضة عندهن نجده يحاول أن يدلّل على أن هذا الشيب الذى يُعير به إنما هو شيب مبكر قد جاء فى غير أونه ، ويعدد الأسباب التى أدّت إليه .

٢ - د - ١ : تحسين المشيب .

- نبدأ بقول الشريف الرضى وهو يحاول أن ينصف كلاً من الشباب والمشيب (٢٨/٢/١٦) :
- ٥٩٧ وماكُلَّ أيام المشيب مريرة ولاكُلَّ أيام الشباب عذابُ
٥٩٨ أوْمَل مالا يبلغ العمر بعضه كأن الذى بعد المشيب شباب

وفي الأبيات التالية يشبه أبو العلاء المعري الشباب بثلاثة أشياء والمشيب أيضاً بثلاثة ، فيقول
مفاضلاً بين الشباب والمشيب (٢٠٣٣/٥/١١) :

٥٩٩ خَبَّرْنِي ماذا كرهت منَ الشَّيْبِ ب فلا علم لي بذنب المشيبِ
٦٠٠ أضيَاءُ النهار أم وَضَحَ اللُّؤْلُؤِ لَوْ أم كَوْنُهُ كَشَغَرِ الحَبِيبِ
٦٠١ واذكُرى لي فَضْلَ الشباب ومايجُ مَعَ مِنْ منظرٍ يروقُ وطيبِ
٦٠٢ غَدْرُهُ بالخليل أم حُبُّهُ لِد غَيٍّ أم أنه كدهرِ الأديبِ

وفي دفاعه عن المشيب يرى الشاعر أنه لا يجرد المرء من مواهبه وفضائله ، وفي ذلك يقول
أبو الفتح البستي (٩٦/٢٤) :

٦٠٣ أبا العباس لا تحسب بأني لشيبى من حلى الأشعار عارى
ويقول السيد محمد الأمين الحسينى العاملى (٣٨٠/٣/١٢) :

٦٠٤ باتت تعيرنى بالشيب حين بدا فقلت هيات ما بالشيب من عار
٦٠٥ ماشاب حلمى ولا عزمى ولا نقصت يامى بالشيب للذائق وأوطارى

والمشيب لا يحول بين المرء وبين التمتع بالحياة ، فيقول الشاعر (٣٥٦/٢/١) :
٦٠٦ يقولون هل بَعْدَ الثلاثين مَلْعَبٌ؟ فقلتُ وهل قبل الثلاثين ملعب؟
٦٠٧ لقد جَلَّ قَدْرُ الشيب إن كان كلما بدت شَيْبَةٌ يَعرى من اللهو مَرَكَبٌ^(١٣)

ويرى محمود الوراق أن الشيب نعمة ، لأنه يأتى مع طول العمر ، ومن ثم فإن من يعيب
الشيب يستوجب الدعاء عليه ألا يبلغه ، فيقول (٣٥٧/٢/١) :

٦٠٨ وعائب عابنى بشيبٍ لم يَعدُ لما أَلَمَّ وَقْتُهُ^(١٤)
٦٠٩ فقلت للعائى بشيبى يا عائب الشيب لا بلغته

ويرى طريح بن إسماعيل الثقفى أن الشيب يضمنى على المرء جمالاً فيقول (١٠٨/٧) :
٦١٠ والشيب إن يحلل فإن وراءه عمراً يكون خلاله متنفسُ
٦١١ لم ينتقص منى المشيب قلامه ولنحن حين بدا ألدُّ وأكيسُ

(١٣) جاء فى العقد الفريد ١٨٤/٦ لفظ « عَرَى » بدلا من « يعرى » .

(١٤) ورد عجز البيت الأول مختلفا فى العقد الفريد ١٨٤/٦ على النحو التالى « لم يأن لما أبان وقته » كما ورد صدر البيت

الثانى هكذا : « فقلت إذ عابنى بشيبى » .

ونجد مالك بن خريم^(١٥) يعدد مساوى أربعة جعله المشيب ينأى عنها ويحجم عن اقترافها
فيقول (٣٨/٢/١٤) :

- ٦١٢ فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبيت على نفسى مناقب أربعة
٦١٣ فواحدة ألا أبيت بغرة إذا ما سوام الحى حولى تضوعا
٦١٤ وثانية ألا تُفزع جارقى إذا كان جار القوم فيهم مُفزعاً
٦١٥ وثالثة ألا أصمت كلبنا إذا نزل الأضياف حرصاً لنودعا
٦١٦ ورابعة ألا أحجل قدرنا على لحمها حين الشتاء لشبعا

والشيب سمة العفيف ، فيقول دعبل الخزاعى (١٠٨/٧) :

- ٦١٧ أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه سمة العفيف وهيئة المتخرج
٦١٨ وكان شيبى نظمٌ درٌّ زاهرٍ فى تاج ذى ملك أغر متوج

ونراه يرحب بالشيب ضيفاً فيقول (١٠٨/٧) :

- ٦١٩ أحب الشيب لما قيل ضيفٌ كحبنى للضيوف النازلينا^(١٦)

ومع الشيب يأتى الحزم وصواب رأى ، كقول كثير عزة يمدح عبد الملك بن مروان
(٥٩٠/٨) :

- ٦٢٠ رأيت أبا الوليد غداة جمع به شيب وقد فقد الشبابا
٦٢١ ولكن تحت ذاك الشيب حزم إذا ما ظن أمرض أو أصابا^(١٧)

وقول ألى الفتح البستى (١١١/٣/٤٥) :

- ٦٢٢ ما استقامت قناة رأىى إلا بعد أن عوج المشيبُ قناتى

والشيب يلبس المرء ثوب النهى والتعقل ، فيقول ابن عبد ربه (٣٥٠/٢/١) ، ٨٣٢/٩/٤ -

(٨٣٣) :

(١٥) وقيل «حزيم» بالخاء المهملة والزاي .

(١٦) قارن بين هذه النظرة إلى المشيب وبين ذم المشيب باعتباره ضيفاً غير مرغوب فيه ، وذلك فى أبيات كل من المتنبي

والسراج الوراق التى وردت فى ٢ - ب - ١ .

(١٧) جاء لفظ «قال» بدلا من «ظن» فى شروح سقط الزند ٢٤٤/١ .

- ٦٢٣ بدا وَضَحُ المشيب على عِذارى وهل ليلٌ يكون بلا نهار؟
 ٦٢٤ شَرَيْتُ سَوَادَ ذا بِيَاضِ هذا فَبَدَّلْتُ العِمامة بالخمار
 ٦٢٥ وألبسني النهى ثوباً جديداً وجردني من الثوب المَعَار
 ٦٢٦ وما بعث الهوى بيعاً بِشَرِطٍ ولا استثنيتُ فيه بالخيار

كذلك فالمشيب يلبس المرء ثوب الفاضل ، كهذا البيت الذي رويناه تحت رقم ٣٧٣ ضمن أبيات أخرى للبديع الهمداني :

... إن كان ساءك طالعاتُ بياضه فلقد كسأكَ بذاك ثوب الفاضل

وفي هذا المعنى يقول أبو السميطة (١٠٨/٧) :

٦٢٧ إن المشيب رداء العقل والأدب كما الشباب رداء اللهو والطرب

ويقول أبو تمام (٣٧١/٣/١٢) :

٦٢٨ ست وعشرون تدعوني فأتبعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب

٦٢٩ فلا يروعنك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب^(١٨)

والمشيب يكسب المرء حُكْمَةً وتجربة ، فالمرء كلما زادت أيامه ، وعلت سنه كثرت تجاربه وأصبح محنكا . ويصف أبو العلاء المعري فرسانا بأنهم شيبٌ محنكون قد مارسوا الحروب ، وليسوا بشباب أغمار لا دُرْبَةَ لهم بالحرب ، وذلك من قصيدة قالها وهو محتجب بمعة النعمان ، يخاطب بها خازن دار العلم ببغداد (١٦٣٧/٤/١١ - ١٦٣٨ ، البيت ٣٤) :

٦٣٠ فوارسُ طَعَانُونٍ مازال للقنا مع الشيب يوماً في عوارضهم وَخَطُ

وفي ذلك يقول الراجز (١٦٣٨/٤٠/١١) :

٦٣١ يمنعها شيخٌ بخديهِ الشيبُ لا يحذر الرّيب إذا خيف الرّيبُ

وهذا المعنى أراده أبو الطيب بقوله (١٦٣٨/٤/١١) :

٦٣٢ سأطلب حقّ بالقنا ومشايخٍ كأنهم من طول ما التّموا مُردُّ

وعن الحُكْمَةُ التي تأتي مع المشيب ما أنشده الجاحظ لامرأة (٢٠٣/١٠٣/٢١) :

(١٨) جاء لفظ « المشيب » بدلا من « القتير » في اللطائف والظرائف / ١٠٨ .

٦٣٣ وهبته من سلفع أفوك ومن هيل قد عسا حنيك

٦٣٤ أشهب ذى رأس كراس الديك

والمشيب في الإسلام خير المشيب ، كقول سراج الدين الوراق المصري (٤٤٢/٢/١٥) :

٦٣٥ إلهي قد جاوزت سبعين حجة فشكراً لنعمك التي لا تُكفر

٦٣٦ وعُمرت في الإسلام فازددت بهجة ونوراً لذا قالوا : السراج المعمر

٦٣٧ وعم نور الشيب رأسى فسرني وما ساءني أن السراج منور

وإن كان المشيب لا يعيب الرجل فهو كذلك لا يعيب المرأة ، ولا يحول دون حب الرجل لها ،

كقول أعرابي في عجوز (١٨٤/٦/١) :

٦٣٨ أبي القلب إلا أم عمرو وحبها عجوزاً ومن يحب عجوزاً يفند

٦٣٩ كبرد يان قد تقادم عهدته ورقعته ماشيب في العين واليد

والمشيب يكسب المرء وقاراً ، فيقول الشاعر (٣٢٥/٢/٤٩) :

٦٤٠ وكان الشباب الغض لي فيه لذة فوقني عنه المشيب وأدبا

٦٤١ فسقياً ورعياً للشباب الذي مضى وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا

ويقول أبو فراس الحمداني من قصيدة له (٧٠/١/٤) :

٦٤٢ وما استمتعت من داعي التصابي إلى أن جاعني داعي الوقار

وقد ينسى الشاعر شبيهه ووقاره حين يلاعب أولاده ، كقول محمود غنيم (٢٣٦/٢٤) :

٦٤٣ وأطيب ساع الحياة لدياً عشية أخلو إلى ولياً

٦٤٤ فأنسى عذارى وأنسى وقارى وأحسب أنى عدت صيبا

وقد يجد الشاعر أن وقار المشيب مفروض عليه فرضاً ، كقول علي بن جبلة في مطلع قصيدة

يمدح بها أبا دلف العجلي (٦٥/١٨) :

٦٤٥ ذاد ورد الغي عن صدره وارعوى واللهم من وطره

٦٤٦ وأبت إلا الوقار له ضحكات الشيب في شعره

٦٤٧ ندمى أن الشباب مضى لم أبلغه مدى أشيره

٦٤٨ وانقضت أيامه سلماً لم أهج حرباً على غيره

٦٤٩ حسرت عني بشاشته وذوى اليناع من ثمرة^(١٩)
٦٥٠ وصغت أذنى لزاجرها ولا تشجى لزدجره
٦٥١ إذ يدي تعصى بقوتها لا ترى ثاراً لمثيرة
٦٥٢ والصبا سرح أطيף به فأصيب الأنس من نفيه

وهذا الجلال الذى يحيط بالمشيب يحده على بن جبلة مسئولاً عن عزوف الغوانى (٩٠/١٨)
وهذا البيت هو الثامن من أبيات أوردناها تحت أرقام ٢٦٩-٢٧٥ :

٦٥٣ جلال ولكنّه تحاماه حور المقلّ

وهذا الجلال يرفضه أيضاً أبو تمام فيقول (٣٧٠/٣/١٢) :

٦٥٤ شُعلة في المفارق استودعتني في صميم الفؤاد ثكلاً صميماً
٦٥٥ دقة في الحياة تدعى جلالاً مثلاً سُمى اللديغ سليماً

كذلك يرفض يوسف بن حمويه الوقار الذى يأتى به المشيب فيقول (٧٠/٤٠) :

٦٥٦ ووقارى إذا توقر ذو الشيب بة وَسَطَ الندى ترك الوقار

وفى مجون يعترف أبو نواس بأن شيبه ليس وقاراً فيقول (٣٥٦/٢/١) :

٦٥٧ يقولون فى الشيب الوقار لأهله وشيى بحمد الله غير وقار

ولما كان الصلح هو البديل للشيب من حيث حلوله بعد ذهاب الشباب ، أو أنه يأتى مصاحباً
للمشيب (أنظر رقى ٣٥ ، ٣٤٩) - فإن الشاعر يدافع عنه كما يدافع عن المشيب (انظر ٧٨٤ -
٧٨٧) قائلاً إنه كالمشيب : يعد شرفاً ، ويضفى على المرء جلالاً ؛ ولكن كما يرفض بعض الشعراء
الجلال الذى يأتى به المشيب (انظر الأبيات رقم ٦٥٣ - ٦٥٥) - فإنهم يرفضون أيضاً ذلك
الشرف الذى يمنحهم إياه الصلح . ونسمع أسعد رستم الشاعر المهجرى يقول وقد أعجبه صلعة
أحد أصدقائه ، فنظم فيها قصيدة بعنوان « الصلعة أو الطاسة المصبصة » (٣٣١/٤٨ -
٣٣٢) :

٦٥٨ لصديقنا فى رأسه صحراء جفّت فلا عشب بها أو ماء
٦٥٩ وكأنها الميدان من بعد الوغى فنى الجميع فما به أحياء

(١٩) ورد فى الأغاني ٢٥٤/٨ لفظ « المحسود » بدلا من « اليناع » .

- ٦٦٠ تزداد ما مَرَّ الزمانُ مساحَةً وصديقنا من كبرها يستاء
 ٦٦١ ولقد سمعناه يقول ودمعه يجرى فيعمى مقاتيه بكاءً :
 ٦٦٢ كم من دوا للشعر قد جربته يوماً فراح سُدَى وظلَّ الداءُ !
 ٦٦٣ يا حسرتي ! ذهبَ الشبابُ وكان لي فيه مآثرُ جمَّةٌ غراءُ
 ٦٦٤ أما الحسان الفاتناتُ فليس لي مع صلعتي في واصلهنَّ رجاءُ
 ٦٦٥ قلنا له : مهلاً ، فلمْ هذا البكا واسمع فني هذا الكلام عزاء :
 ٦٦٦ أوليس للإنسان في إحرازها شرف ، ويملك مثلها العلماء ؟
 ٦٦٧ فأجاب : لا شرفٌ أريدُ ولا علماً أفما لديكم غير ذاك دواء ؟

ويقول محمد بن مناذر يفاضل بين الشباب والمشيب فيمتدح المشيب لأنه وازع ، ويذم

الشباب (٣٥٧/٢/١) :

- ٦٦٨ لا سلام على الشباب ولا حيٍّ لـ الإله الشباب من معهود
 ٦٦٩ قد لبستُ الجديدَ من كل شيء فوجدت الشباب شرَّ جديد
 ٦٧٠ صاحبٌ ما يزال يدعو إلى الغيب م وما من دعا له برشيد
 ٦٧١ ولنعم المنيب والوازع الشيب م ونعم المفاد للمستفيد

ويقول الشاعر (١٩١/٢/٢) :

- ٦٧٢ ذا ارعواء فليس بعد اشتعال الرأس م شيئاً إلى الصبا من سبيل
 ويقول ابن المعتز وهو من حسن ابتداءاته (٢٧١/١٣ ، ١٩٤/١/١٦) :
 ٦٧٣ أخذت من شبابي الأيام وتولى الصبا عليه السلام
 ٦٧٤ وارعوى باطلي فبان حديث النفس م منى وعفت الأحلام

وفي هذا المعنى يقول ابن عبد ربه (٣٥٣-٣٥٢/٢/١) :

- ٦٧٥ ولَّى الشبابُ وكنت تسكُن ظِلَّهُ فانظر لنفسك أيَّ ظلٍّ تسكُن
 ٦٧٦ ونهى المشيبُ عن الصبا لو أنه يُدلى بحجته إلى مَنْ يلقن

ويقول جعفر بن جزار كاتب ابن طولون من قصيدة طويلة له (١٩٥/٦/١) :

- ٦٧٧ لو كنت مِمَّنْ لكنت مِمَّا لكنني قد كبرتُ مِمَّا . .
 ٦٧٨ . . . عاتبني الدهرُ في عذارى بأحرفٍ فارعويتُ لما

٦٧٩ قُوسَ مَا كَانَ مُسْتَقِيمًا وَابْيَضَ مَا كَانَ مُدْهِمًا
٦٨٠ وَكَيْفَ تَصْبُو الدَّمَى إِلَى مَنْ
٦٨١ لِي عَنْكَ يَا أُخْتِ أَهْلِي يَمُّ شُغْلٌ بَمَا قَدْ دَنَا وَحَمًا

ويقول عدى بن الرقاع (٧١/٩) :

٦٨٢ لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتُ رَأْسِي قَدْ عَفَا
٦٨٣ وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
عَيْنِهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ عَاسِمِ

ويقول راشد بن عبيد الله (١٣٧/٦/١) :

٦٨٤ صَبَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ شَاوُهُ وَرَدَّتْ عَلَيْهِ مَا بَعَثَتْهُ تَمَاضِرُ
٦٨٥ وَحَكَمَةُ شَيْبِ الْقَدَالِ عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ عَنْ بَعْضِ الْغَوَايَةِ زَاجِرُ
٦٨٦ فَأَقْصَرَ جَهْلِي الْيَوْمَ وَارْتَدَّ بَاطِلِي عَنْ اللَّهْوِ لَمَّا ابْيَضَّ مِنِّْي الْغَدَائِرُ

ويقول الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٧٦٩/٩/٤) :

٦٨٧ قَدْ تَرَكْنَا الصَّبَا لِكُلِّ غَوِيٍّ وَانْسَلَخْنَا مِنْ كُلِّ ذَامٍّ وَعَابٍ
٦٨٨ وَانْقَطَعْنَا لَوَاعِظَاتِ مَشِيبٍ آذَنْتَنَا حَيَاتُهَا بِذَهَابِ
٦٨٩ وَإِذَا مَا الصَّبَا تَحَمَّلَ عَنَا فَقَبِيحُ بِنَا ارْتِضَاءُ التَّصَابِي

ويقول ابن المعتز (١٢٢/١/١٥) :

٦٩٠ أَعَاذَلُ قَدْ كَبُرْتُ عَلَى الْعِتَابِ وَقَدْ ضَحَكَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ
٦٩١ رَدَدْتُ إِلَى التَّقَى نَفْسِي فَفَرَّتْ كَمَا رَدَّ الْحُسَامُ إِلَى الْقِرَابِ

ويقول إبراهيم بن العباس الصولي (٢٦٠/٤٢) :

٦٩٢ إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا تَرَيْنَ بِمُفَرَّقِي صَرَفَ الْغَوَايَةَ فَانصَرَفَتْ كَرِيمًا
٩٩٣ وَضَجَرْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنَ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا

ويقول ابن نباتة المصري (٢١٤/٢/١٦) :

٦٩٤ فَقَدْتُ الْهَوَى لَمَّا فَقَدْتُ شَبِيبِي وَأَوْجَعُ مَفْقُودِ هَوَى وَشَبَابُ
٦٩٥ وَكَانَ يَصِيدُ الظَّبْيَ فَاحِجُمُ لَمَّتِي وَأَغْرَبَ مَا صَادَ الظَّبَاءُ غَرَابُ
٦٩٦ وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَدَاجَاةِ فِي الْهَوَى لَكَانَ بَدْمَعِي لِلْمَشِيبِ خِضَابُ

ويجد سحيم عبد بنى الحسحاس فى الإسلام ناهياً وزاجراً ، وذلك بالإضافة إلى الشيب ،
فيقول (٨٨/٢/٣) :

٦٩٧ عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَا الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

ويرى ابن الرومى أن هذا الارعواء إنما يُكره الشاعر عليه كرهاً فيقول (١٩٠/١٧) :

٦٩٨ كَفَى بِالشَّيْبِ مِنْ نَاهٍ مُطَاعٍ عَلَى كُرْهِهِ وَمِنْ دَاعٍ مُجَابٍ

٦٩٩ حَطَّطْتُ إِلَى النُّهْيِ رَحْلِي وَكَلَّتْ مَطِيَّةٌ بَاطِلِي بَعْدَ الْهُبَابِ

ومن الشعراء من يحض على وجوب الارعواء والتزام الوقار بعد المشيب ، وذلك من حيث
المظهر والسلوك ، فيقول الشاعر (٢٨٩/١٠٨/٢١) :

٧٠٠ يَا لَابَسِ الْوَشْيِ عَلَى شَيْبِهِ مَا أَقْبَحَ الدَّاحَ عَلَى الشَّيْخِ !

ويقول آخر (٢١٥/٢٩) :

٧٠١ بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَا نُنْ وَلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ

٧٠٢ أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعَشْرِينَ فَاعِلٌ؟

ويقول ابن عبد ربه :

٧٠٣ يَا قَادِرًا لَيْسَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ مَاذَا الَّذِي بَعْدَ شَيْبِ الرَّأْسِ تَنْتَظِرُ؟

ويقول الشاعر (٢٧٧/٥٢) :

٧٠٤ أَنْتِ فِي الْأَرْبَعِينَ مِثْلَكَ فِي الْعَشْرِينَ مَ حَتَّى مَتَى يَكُونُ الْفَلَاحُ؟

وفى مسرحية «كليوباترة» يدور الحديث بين «حاجى» و«زينون» عن الحب وينتهى الأمر

بسخرية «حاجى» من الشيخ المقيم فيقول أحمد شوقي على لسانه (١٨٢/٢٢) :

٧٠٥ أَفَقْ زَيْنُونُ وَاصْحُ مِنَ الْغَوَانِي أَبْعَدُ الشَّيْبِ تَخْدَعُكَ النِّسَاءُ؟

ويقول أبو فراس فى مطلع قصيدة له (٤٢٥/١/١١) :

٧٠٦ وَقُوفُكَ بِالْذِّيَارِ عَلَيْكَ عَارٌ وَقَدْ رُدَّ الشَّبَابُ الْمُسْتَعَارُ

٧٠٧ أَبْعَدُ الْأَرْبَعِينَ مَجْرَمَاتِ تَمَادٍ فِي الصَّبَابَةِ ثُمَّ اغْتَرَارُ؟

ويقول الحسن بن هانئ من أبيات له (٤٨٥/٨) :

٧٠٨ شَبْتُ يَا هَذَا وَمَا تَتَّ رَكَ أَخْلَاقُ الْغَلَامِ !

وقال عمر بن عبد العزيز (٣٨/١/١٤) :

- ٧٠٩ إِنَّهُ الْفؤَادُ عَنِ الصَّبَا وَعَنِ انْقِيَادِكَ لِلْهُوَى
 ٧١٠ فَلَعَمْرُ رَبِّكَ إِنَّ فِي شَيْبِ الْمَفَارِقِ وَالْجَلَا
 ٧١١ لَكَ وَاعْظَا لَوْ كُنْتَ تَتَعَطَّمُ اتَّعَظَ ذُو النِّهَى
 ٧١٢ حَتَّى مَتَى لَا تَرَعُوى وَإِلَى مَتَى؟ وَإِلَى مَتَى؟
 ٧١٣ بَلَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ إِنْ عُمِّرْتَ رَهْنٌ لِلْبَلَى
 ٧١٤ وَكُنْ بِذَلِكَ زَاجِرًا لِلْمَرْءِ عَنْ غِيٍّ، كَفَى!

أما حين لا يتوجه الشاعر بالنصح إلى المخاطب مباشرة فإن حصّه على الارعواء : إما أن يكون في صيغة حقائق ثابتة ، أو أن يكون عن تجربة شخصية ، مثال ذلك : قول عبد الله المعتز من أبيات له (١٠٦/٤١) :

- ٧١٥ وما أقبح التفريط في زمن الصِّبا ! فكيف به والشيب في الرأس شامل ؟

وقول أبي سعيد الرستمي (٥٣/١٢/٣٣) :

- ٧١٦ قَبِيحٌ بَذَى الشَّيْبُ إِنْ يَطْرُبَا فَمَا لِلْمَشَيْبِ وَمَا لِلصَّبَا ؟
 ٧١٧ أَمِنْ بَعْدَ خَمْسِينَ ضَاعَتْ سُدَى وَأَوْدَى بِهَا اللَّهُوْ أَيْدَى سَبَا
 ٧١٨ تَشِيمُ بِرُوقِ الدَّمَى دَائِمًا وَقَدْ شَامَتِ الْعَارِضَ الْأَشْيَا ؟
 ٧١٩ وَأَقْبَحُ بَذَى عَارِضِ أَشْيَبِ إِذَا قَابَلَ الْعَارِضَ الْأَشْنَا !
 ٧٢٠ وَأَهْلَكَ وَاللَّيْلُ بَادِرٌ بِهِ فَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرِبَا !

وقول الشريف أبي إبراهيم (٤٢٥/١/١١) :

- ٧٢١ غَيْرُ مُسْتَحْسِنٍ وَصَالُ الْغَوَايِ بَعْدَ سَتِينَ حِجَّةٍ وَثَمَانٍ

وقول الشاعر (٣٢٥/٢/٤٩) :

- ٧٢٢ لَمَّا مَضَى ظَاعِنًا عَنَّا فَوَدَّعَنَا وَكَانَ كَالشَّيْبِ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ عَقْبَا
 ٧٢٣ عُدْنَا إِلَى حَالَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ لَهَا وَصَلَ الْغَوَايِ وَعَابَ الشَّيْبُ مِنْ لَعْبَا

وقول الأقيشر يرفض خمرًا قدمت له (٧٩/٨/١) :

- ٧٢٤ فَقُلْتُ اصْطَحِبْهَا أَوْ لَغَيْرِي فَاهْدِيهَا لَمَّا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْلَكَ وَالْخَمْرُ !

٧٢٥ إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن له دون ما يأتى حياء ولا ستر
٧٢٦ فدعه ولا تنكر عليه الذى أتى وإن جر أرسان الحياة له الدهر

بيد أنه على النقيض من هذا كله نجد أن من الشعراء من لا يرعوى أو يتعظ بعد حلول المشيب ، وبذلك ينقض واحدة من الحجج التى يحتج بها من يدافعون عن المشيب ويحسنونه : ذلك لأن الشاعر يحن إلى أحبائه فى حال الكبر ؛ كما كان يحن إليهم فى حال الصغر ، ويفتقد مغانيه ومراتع لهوه وصباه ، فيقول ابن الرومى (١٠٥ / ٤٤) :

٧٢٧ لاح شيبى فرحت أرح فيه مرح الطرف فى العذار المحلى
٧٢٨ وتولى الشباب فازددت ركضاً فى ميادين باطلى إذ تولى
٧٢٩ إن من ساءه الزمان بشيء لأحق امرئ بأن يتسلى

ويقول حميد الأرقط (١٦٣٠ / ٤ / ١١) :

٧٣٠ وكنت خلت الشيب والتبدينا والهـمّ مما يذهل القرينا

ويقول أبو نواس (١٦٦ / ٦ / ٥) :

٧٣١ أصبح قلبي به ندوب أندبه الشادن الريب
٧٣٢ تمادياً منه فى التصابي وقد علا رأسى المشيب
٧٣٣ أظنى ذائقاً حيامى وأن إمامه قريب
٧٣٤ إذا فؤاد شجاه حب فقلما ينفع الطيب

ويقول الوليد بن يزيد يشب بأم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب (٥٥ / ٧ / ٥) :

٧٣٥ إنما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب
٧٣٦ نظرة قد وقرت فى الـ قلب من أم حبيب

ويقول (١٢ / ٧ / ٥) :

٧٣٧ ولقد قضيت - وإن تجلل لمتى شيب - على رغم العدا لذائق
٧٣٨ من كاعبات كالدمى ومناصفٍ ومراكب للصيد والنشوات

ولم يزل الشعراء يعنفون أنفسهم على مثل هذه الحال ، فيقول علقمة بن عبده (٢٨٢ / ٩) :

٧٣٩ طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

ويقول يزيد بن ضبة من قصيدة له أنشدها بين يدي الوليد بن يزيد (٩٨/٧/٥) :

٧٤٠ لقد لاقيتُ من سَلَمَى تباريح التناكير
٧٤١ دعت عيني لها قلبي وأسباب المقادير
٧٤٢ وما إن مَنْ به شيبُ إذا يصبو بمعدور

ويقول النابغة آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر (٢٣٧/١/١٤) :

٧٤٣ وكفكفت منى عبرةً فرددتها إلى النحر منها مستهلٌ ودامعُ
٧٤٤ على حين عاتبتُ المشيب على الصبا وقلتُ ألمَّا أَصَحُّ والشيبُ وازع؟

ويقول العجاج (١٦٣٠/٤/١١) :

٧٤٥ بكيتُ المحتزن البكى وإنما يأتي الصبا الصبى
٧٤٦ أطرباً وأنت قنسى^(٢٠)

ويقول أَعشى همدان (٣٨/٦/٥ ، الأبيات ١-٧ ، ١٩-٢٢) :

٧٤٧ طلبت الصبا إذ علا المكبر وشاب القذال وما تُقْصِرُ
٧٤٨ وبان الشباب ولذاته ومثلك في الجهل لا يُعْذِرُ
٧٤٩ وقال العواذل هل ينتهى فيفدعه الشيب أو يُقْصِرُ؟
٧٥٠ وفي أربعين توفيتُها وعشر مضت لى مُستبصر
٧٥١ وموعظةً لامرئ حازم إذا كان يسمع أو يُبصر
٧٥٢ فلا تأسفن على ماضى ولا يحزنك ما يُدْبِرُ
٧٥٣ فإن الحوادث تُبلى الفتى وإن الزمان به يُعْثِرُ

إلى أن يقول :

٧٥٤ فإن أُمسٍ قد لاح فى المشيب ب أم البنين ، فقد أذكر
٧٥٥ رخاء من العيش كنا به إذ الدهر نحال لنا مُصْحِر
٧٥٦ وإذ أنا فى عنفوان الشبا ب يعجبني اللهو والسمر
٧٥٧ أصيد الحسان ويصطدنى وتعجبني الكاعب المعصر

(٢٠) ناقض أبونواس الشعراء فى هذا بحانة فقال البيت الذى أوردناه آنفا تحت رقم ٦٥٧ .

ويقول جندل (٤٢٨/١١٢/٢١) :

٧٥٨ عُلِّقَتْهَا وَقَدْ نَزَا فِي مِسْحَلِي شَيْبٌ وَقَدْ حَازَ الْجَلَا مُرَجَلِي

ويقول محمد الفراقى الشاعر السورى (١٧/١٢/٣٣) :

٧٥٩ تَيْقِظْ قَلْبِي بَعْدَ سَبْعِينَ حِجَّةً فَيَالشِّقَاءَ الْعَقْلُ مِنْ يَقْظَةِ الْقَلْبِ !

٧٦٠ فَأَصْبَحْتُ فِي جَوْ مِنْ الْحَبِّ عَاطِرٍ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَقْعُدْ لِأَنْثَى عَلَى دَرْبِ

٧٦١ هَوَى لَجَّ بِي فِي كُلِّ فَجٍّ وَسَبَبٍ فَمَا لِفُؤَادِي بَعْدَ شَيْبَى وَالْحَبِّ

٧٦٢ إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الشَّبَابَ وَزَهْوَهُ أَهْمٌ بِأَحْلَامِي فَيَقْتُلْنِي كَرْبِي

ويقول محمود سامى البارودى (٢٢٥/٢٤) :

٧٦٣ مَتَى أَنْتَ عَنْ أَحْمُقَةٍ الْحَى نَازِعٍ وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الْآيَّةُ وَازِعٌ ؟

ويقول عبد المطلب (٢٣٤/٢٤) :

٧٦٤ أَغْرَى بِكَ الشُّوقَ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ سَارٍ طَوَى الْبَيْدَ مِنْ نَجْدٍ إِلَى الْهَرَمِ

ويقول محمد بن عاصم من قصيدة له فى دير القصير (٦٧٢/٧/٤) :

٧٦٥ كَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ فِيهِ وَلَمْ أَرَّ عَ مَشِيئاً بِمُفَرِّقٍ وَعِذَارِي !

ويمضى الشعراء فى اعترافهم بعدم الارعواء برغم المشيب ولوم العاذلين ، فيقول الشاعر

(٣١٨/١/٢) :

٧٦٦ ضَيَّعْتُ حَزْمِي فِي إِبْعَادِي الْأَمَلَا وَمَا ارْعَوَيْتُ وَشِيئاً رَأْسِي اشْتِعَلَا

ويقول آخر (٤٤٢/٨) :

٧٦٧ عُلِقَ الْفُؤَادُ بِرَيْقِ الْجَهْلِ وَأَبْرَ وَاسْتَعَصَى عَلَى الْأَهْلِ

٧٦٨ وَصَبَا وَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهُ سَفْهًا وَكَيْفَ إِصَابَةُ الْكَهْلِ ؟

٧٦٩ أَدْرَكْتُ مَعْتَصِرِي وَأَدْرَكْنِي حَلْمِي وَيَسِرُ قَائِدِي نَعْلِي

ويقول جوير (٢٨٤/٣/١٠) :

٧٧٠ قَالَ الْعَوَازِلُ مَا لَجْهَلُكَ بَعْدَمَا شَابَ الْمَفَارِقُ وَاكْتَسَيْنَ قَتِيرًا ؟

ويقول النابغة (١٤٦/١٠٣/٢١) :

٧٧١ دَعَاكَ الْهَوَى وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ ؟

ويقول سيبويه (٣٥/٤/٣) :

٧٧٢ ما بال جهلك بعد الحليم والدين وقد علاك مشيب حين لا حين ؟

ويقول ابن عبد ربه (٣٥٠/٢/١) :

٧٧٣ قالوا شبأبك قد ولي فقلت لهم هل من جديد على كرّ الجديدين ؟

٧٧٤ صِلْ مَنْ هويت وإن أبدى معاتبة فأطيب العيش وصل بين الفين

٧٧٥ واقطع حبائل خدن لا ثلاثمه فرما ضاقت الدنيا على اثنين

ويقول أبو العباس أحمد بن مسعود محمد الخزرجي القرطبي (٥٤/٥٦) :

٧٧٦ لاموا على صبوتي والشيب مبتسم كالزهر يبدى ابتهاجاً في خمائله

٧٧٧ فقلت والوجد يطويني وينشرني أواخر اليوم أحلى من أوائله

٧٧٨ لم أترك الأنس حيناً من أحاينه فكيف أغفل عنه في أصائله ؟

ويروى أنه كان بأمج رجل يقال له حميد ، وكان مفتوناً بالخمير ، فهجاه ابن عم له وقال فيه

: (٦٧/٨/١)

٧٧٩ حميد الذي أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

٧٨٠ علاه المشيب على شربها - وكان كريماً - فما ينزع

ولعل من أحسن ما يمكن أن يقال في الدفاع عن المشيب أن نسمع فتاة تتمنى لو تزوجت رجلاً

شاباً ، ولكن تحلى بحكمة الشيوخ ، أو تحلى رأسه بمشيب . تلك هي ابنة ذى الإصبع . فقد

حدث أن ذا الإصبع استمع إلى متحدث لبناته الأربعة وهن لا يعلمن ، وكانت كل منهن

تتحدث عن أمنيته في الرجل الذي تتمنى أن يكون زوجاً لها ، فسمع ابنته الثالثة تقول

: (٣٧٦/٢/٦)

٧٨١ ألا ليته يملا الجفان وليته له جفنة تشقى بها النيب والجزر

٧٨٢ به مُحكمات الشيب من غير كبرة ولا هو بالفاني ولا الضرع الغمر

وفي الدفاع عن المشيب يدافع الشاعر أيضاً عن الصلع فهو - كما سبق أن أشرنا - أحد البديلين

بعد ذهاب الشباب ؛ كما أن الأصلع كالأشيب سواء بسواء من حيث تعرضه للفاكهة والسخرية

والملام ، مثال ذلك : ما كتبه عبد اللطيف الخشن الشاعر المهجري في كتاب الوقائع في حفلة

شعرية أقيمت يوم تأسيس « الرابطة القلمية » يشير إلى صلعة زميله الشاعر جورج صيدح (٣٣٧/٤٨) :

٧٨٣ لقد صُمنّا زماناً عن غذائنا وأفطرنا على الرأس الصليع !

فقام جورج صيدح يدافع عن صلعته فقال :

٧٨٤ صلعة الخير لا أصابتك عينٌ من عيون الحُسادِ ذاتِ الشواظِ

٧٨٥ إن لي صلعة أجلّ من الشيبِ سب وأحرى بمدحة القُرّاظِ

٧٨٦ يشتهي المشط أن يمرّ عليها بنحیوط دقيقة أو غلاظِ

٧٨٧ ما أنا الأصلع الوحيدُ فيهبجو صلعتي كلّ شاعرٍ مغتاظِ !

انظر أيضاً ٣٥ ، ٣٤٩ ، ٦٥٨ - ٦٦٧)

٢-د-٢ : حتمية المشيب

وفي مجال الدفاع عن المشيب ، والرد على العاذلين واللائمين - يحاول الشعراء أن يدلّوا على أن المشيب أمر حتمي لا منجى ولا مهرب منه ، وأن حتمية المشيب إنما هي كاستحالة عودة الشباب سواء بسواء . ويعبر أبو كبير الشاعر الهذلي عن ذلك في البيت التالي الذي سبق أن أوردناه في الفصل الأول تحت رقم ١٧٠ :

أزهير هل عن شيبة من مَعْدِلٍ أو لا سبيل إلى الشباب الأول ؟

ونراه يستخدم في مطلع قصائده أخرى أبياتاً شبيهة بهذا البيت من حيث الألفاظ والبناء ، فيقول في مطلع إحداها (١٠٤/٥٠) :

٧٨٨ أزهير هل عن شيبة من مَصْرِفٍ أو لا خلودَ لبازلٍ متكلّفٍ ؟

ويقول في مطلع أخرى (١١١/٥٠) :

٧٨٩ أزهير هل عن شيبة من مَعَكَمٍ أو لا خلودَ لبازلٍ مُتَكَرِّمٍ ؟

ويرى ساعدة بن جؤية الشاعر الهذلي أن الشيب داء لا دواء له ، وليس لصاحبه براء منه ،

فيقول من قصيدة طويلة له (٢٨٦/١٩ ، البيت الثاني) :

٧٩٠ فالشيب داء شديد لا دواء له ولا لصاحبه براء من السقم !

ويقول أبو تمام (٣٧٠/٣/١٢) :

٧٩١ كل داء يُرجى الدواء له إلا م القطيعتين ميتة ومشيبا

وإن حتمية المشيب لترتبط بطول العمر ، ويروى لنا صاحب العقد الفريد أن أبا دلف دخل على المأمون وعنده جارية له ، وقد ترك الخضاب أبو دلف . فغمز المأمون الجارية فقالت : شئت أبا دلف ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! فسكت عنها أبو دلف ، فقال له المأمون : أجيبها أبا دلف فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال (٣٥٦/٢) :

٧٩٢ تهزأت أن رأت شيبي فقلت لها لا تهزئي ، من يطل عمر به يشب

٧٩٣ شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيكن لكن الويل فاكثبي !

وفي حتمية المشيب يقول ابن نباتة (٢٢٣/٢/١٦) :

٧٩٤ وإذا الفتى قطع السنين عديدة شاب الحياة فظل يدعى شائبا

ويقول الشريف المرتضى (٣٧٧/٣/١٢) :

٧٩٥ صار مني مثل الثغامة ماكا ن زماناً محلولكاً كالغراب

٧٩٦ ليس يبق شيء على حاله الأول م في كسر هذه الأحقاب

ويقول وهو يتحسر أيضاً على الشباب (٣٧٣/٣/١٢ - ٣٧٤) :

٧٩٧ جزعت لوخطات المشيب وإننا بلغ الشباب مدى الكمال فنورا

٧٩٨ والشيب إن فكرت فيه مورد لا بد يورده الفتى إن عمرا

٧٩٩ يبيض بعد سواده الشعر الذي إن لم يزره الشيب واره الثرى

٨٠٠ زمن الشيبة لا عدتك تحية وسقاك منهر الحيا ما استغزرا

٨٠١ فلطالما أضحي ردائي ساحبا في ظلك الوافى وعودى أخضرا

٨٠٢ أيام يرمقني الغزال إذا رنا شغفا ويطرقني الخيال إذا سرى

ويقول حرثان ذو الإصبع (٣٧٧/٢/٦) :

٨٠٣ أهلكنا الليل والنهار معا والدهر يعدو مصمماً جدعا (٢١)

٨٠٤ فليس فيما أصابني عجب إن كنت شيئا أنكرت أو صلعا

ويقول الشاعر (١٩٠/٢٨) :

٨٠٥ أشاب الصغير وأفنى الكبير م كرّ الغداة ومَرَّ العشي

ويقول ابن عبد ربه (٣٥٠/٢/١) :

٨٠٦ قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم هل من جديدٍ على كرّ الجديدين؟

ويقول أيضاً (٣٥٠/٢/١ ، ٨٢٩/٩/٤) :

٨٠٧ سوادُ المرء تنفدُهُ الليالي وإن كانت تصيرُ إلى نفاذٍ (٢٢)

٨٠٨ فأسودُّه يعودُ إلى بياضٍ وأبيضُّه يعودُ إلى سوادٍ !

وفي هذا المعنى يقول المتنبي (٣٥٥/٤/٤) :

٨٠٩ تسود الشمس منا بيضاً أوجهنّا ولا تسود بيض العذر واللّم

٨١٠ وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكما من الدنيا إلى حكم

ويروى أن أبا الأسود الدؤلي قد دخل على معاوية وقد خضب ، فقال : لقد أصبحت يا أبا

أسود جميلاً ، فلو علقت تيممة ! فأنشأ أبو الأسود يقول هذين البيتين (٣٥٤/٢/١) :

٨١١ أفنى الشباب الذي فارقتُ بهجته مرّ الجديدين من آتٍ ومنطَلِقٍ

٨١٢ لم يُبقيا لى من طول اختلافٍ فيها شيئاً يُخاف عليه لدعة الحدق

كذلك يروى أن مالك بن أسماء بن خارجة كان قد قال لجاريته : اخضبي رأسي ولحيّتي

فقلت : دعني ، قد عييت مما أرقعك ! فقال (٣٥٤/٢/١) :

٨١٣ عيّرتني خلقاً أبليت جدته وهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً ؟

ومن ثم كان مجيء المشيب أمراً طبيعياً ، تماماً كما يجيء النهار بعد الليل ، وفي ذلك يقول

السراج الوراق يرد على من أنكرت شبيهه (٣٨٢/٣/١٢) :

٨١٤ وقالت ياسراج ، علاك شيبٌ فدعْ لجديده خلعَ العذار

٨١٥ فقلت لها : نهارٌ بعد ليلٍ فما يدعوك أنتِ إلى النفار؟

٨١٦ فقلت : قد صدقت وما علمنا بأضيع من سراج في نهار !

(٢٢) ورد هذا البيت في تيممة الدهر ٨٢٩/٩ مبتدأ بلفظ «شباب» بدلا من «سواد» .

وإذن فالمشيب لا مرد له ، ولا حيلة للإنسان في دفعه ، ولا جدوى من مقاومته ، فيقول
أبو العلاء المعري (١٢٥٢/٣/١١) :

٨١٧ طويت الصبا طي السجل وزارني زمان له بالمشيب حكم وإسجال

ويقول الشريف المرتضى (٣٧٧/٣/١٢) :

٨١٨ ولو كان فيما يحدث الدهر حيلة أبيت على هذا المشيب إباء

٨١٩ فلا تنكرى لونا تبدلت غيره كمستبدل بعد الرداء رداء

٨٢٠ فإني على العهد الذي تعهدينه حفاظاً لما استحفظتني ووفاء

٨٢١ كأن الليالي عنه لما رميني جلون صداء أو كشفن غطاء

ويقول أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ (٦٦٠/٧/٤) :

٨٢٢ منذ حلّ السواد حلّ البياض واعتدائه طوال عراض

٨٢٣ وإذا ما طغى المشيب فلا المنقاش م يقوى به ولا المقراض

٨٢٤ وكثيراً أرى جساماً صحاحاً لأناس فيها قلوب مراض

وعن عدم جدوى مقاومة المشيب أيضاً قال أعرابي ، ويقال الشعر لأبي دلف
(٣٢٥/٢/٤٩) :

٨٢٥ في كل يوم من الأيام نابتة كأنما نبتت فيه على بصرى

٨٢٦ لأن قرضتك بالمقراض عن بصرى لما قرضتك عن همى ولا فكرى

ومادام المشيب أمراً حتمياً فإنه ينبغي علينا أن نكف عن ذمه ، وفي ذلك يقول عبد الله بن
حنين الحيرى من أبيات له (٣٥٩/٢/٦) :

٨٢٧ هلا بكيت على الشباب الداهب وكففت عن ذم المشيب الآتب

بل إن حتمية المشيب تجعل المرء يعتاده ولا يرضى عنه بديلاً ، فيقول المتنبي (٩٠/٥٨) :

٨٢٨ خلقت الوفا لوردت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وفي مجال الدفاع عن المشيب نجد هذه الأبيات الطريفة للشاعر المهجرى إلياس حبيب فرحات
قالها في ابنته الصغرى « منى » التى تضاحكت من صلغته ، وفيها يؤكد حتمية المشيب

(٤٨٧/٤٨) :

- ٨٢٩ عبث « منى » بصلعتى وتضاحكت لما رأيتى للتمشط أنشط
 ٨٣٠ ومضت بلثغتها تقول لأمها : رأيت « ماما » أقرعاً يتمشط ؟
 ٨٣١ أبنتى إن الحياة لسلم يهنك أنك تصعدين وأهبط
 ٨٣٢ والدهر يا ولدى يغربل لمتى فالبيض تثبت والحوالك تسقط !

٢-د-٣ الشيب المبكر

من بين المعاذير التي يسوقها الشاعر دفاعاً عن المشيب قوله : إنه شيب مبكر قد جاء قبل
 أوانه ، وفي هذا المعنى يخوض معظم الشعراء ، فيقول عبد الحسن الصورى (٤٨٨/٦/٤) :
 ٨٣٣ فى أوان الشباب عاجلنى الشيب م فهذا من أول الدن دردى

وأنشده ابن الأعرابي (١/١٠٠/٢١) :

- ٨٣٤ قد هرمتنى قبل إبان الهرم وهى إذا قلت كلى قالت : نعم
 ٨٣٥ صحيحة المعدة من كل سقم لو أكلت فيلين لم تخش البشم !

ويقول الشريف المرتضى (٣٧٤/٣/١٢) :

- ٨٣٦ ولقد أتانى الشيب فى عصر الصبا حتى لبست به شباباً أبيضاً
 ٨٣٧ لم ينتقص منى أوان نزوله بأساً أطال على العداة وأعرضاً
 ٧٣٨ فكأنما كنت امرأً مستبدلاً أثابه كره السواد فيضاً

ومن بين الأسباب التي يعزى الشعراء إليها الشيب المبكر كثرة الهموم ، كقول الشاعر
 (٣٢٤/٢/٤٩) :

- ٨٣٩ شاب رأسى وما رأيت شيب الرأس م إلا من فضل شيب الفؤاد
 ٨٤٠ وكذلك القلوب فى كل بؤس ونعيم طلائع الأجساد
 ٨٤١ طال إنكارى البياض فإن عمّرت م شيئاً أنكرت لون السواد

ونحن نقرأ عن ابن نباتة المصرى « أنه كان كثير الشكوى من الكبر ، شديد التألم من الشيب ،
 فهو فى أكثر شعره يندب شبابه ، ويبكى ماضى قوته ، ويفزع مهولاً من الشيب والهرم » ونجده هنا
 يعلل اشتعال شيبه بكثرة الهموم فيقول : (٢١٣/٢/١٦) :

- ٨٤٢ من يحارب حوادث الدهر يخفى لون فؤديه فى غبار الحروب
 ٨٤٣ من يعم فى بحار همى يظهر زبد فوق فرعه الغريب

٨٤

٨٤٤ أَيْ فَرْعُ جَوْنٍ عَلَى عَنَتِ الْأَيَّامِ مَ يَبْقَى ؟ وَأَيْ غُصْنٍ رَطِيبٌ ؟

٨٤٥ لَوْهَمَى مَاءٌ مِعْطَقَى مِنْ اللَّيْنِ مَ لَأَفْنَتُهُ مَهْجَتِي بِلَهَيْبِ

ويقول (٢١٣/٢/١٦) :

٨٤٦ أَمَّا الْهَمُومُ فَبِحَرْ خُضْتُ زَاخِرُهُ أَمَا تَرَى فَوْقَ رَأْسِي فَائِضَ الزَّيْدِ ؟

ويقول من قصيدة يرثى ولدًا له مات صغيراً (٢١٢/١/١٥) :

٨٤٧ أَبْنَى ، قَدْ وَقَفْتُ عَلَى حَوَادِثُ فَوْقَنْ مِنْ طَلَلٍ عَلَى آثَارِ

٨٤٨ وَمَضَى الْبَيَاضُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا لَكِنَّا أَبْقَتْهُ فَوْقَ عِذَارِي

ويقول المتنبي (٣٣٤/٤/٤) :

٨٤٩ وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيَشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهِرِّمُ

وقد يكون الشيب المبكر من الخطوب ونحن كقول كعب بن سعد الغنوي يرثى أخاه

(٦٢/٣٥) :

٨٥٠ تَتَابَعُ أَحْدَاثُ تَحْرَمَنَّ إِخْوَتِي وَشَيْبَنَ رَأْسِي وَالْخُطُوبُ تَشِيبُ

وقال ابن زيدون لما اشتد حزنه وهو في سجنه ورأى الشيب في رأسه فأنشأ يشكو

ويستضعف :

٨٥١ لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شَبَابِي كِبَرَةً ، وَأَرَى بَرَقَ الْمَشِيبِ اعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّعْرِ

٨٥٢ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَثَبُ وَلِلشَّيْبَةِ غُصْنٌ غَيْرُ مُهْتَصِرٍ

٨٥٣ يَا لِّلرَّزَايَا ! لَقَدْ شَافَهْتُ مِنْهَا غَمْرًا ، فَمَا أَشْرَبُ الْمَكْرُوهَ بِالْغُمَرِ

وقد يكون الشيب المبكر من الأهوال كهول الليل في قول أبي العلاء المعري (٧٢١/١/١١) :

٨٥٤ وَجَنَحَ يَمْلَأُ الْفَوْدَيْنِ شَيْبًا وَلَكِنْ يَجْعَلُ الصَّحْرَاءُ خَلَا

وكذلك هول السنين ، كقول الصمة بن عبد الله القشيري (٢٣٦/٩ ، ٣٢٠/١/٥٥) :

٨٥٥ ذُرَانِي مَنْ نَجِدُ فَإِنْ سَنِينُهُ لَعَبْنُ بِنَا شَيْبًا وَشَيْبِنَا مُرْدًا (٢٣)

ويتحدث حريث بن سلمة بن مرارة عن الأهوال التي يتعرض لها الرجل فيشتعل منها الرأس

(٢٣) ورد هذا البيت في شرح ابن عقيل ٣١/١ مبتدئا بلفظ « دعاني » بدلا من « ذراني » .

شيئاً على حين أن النساء منعمات في الخدور ، ومع ذلك ينكرن عليهم ذلك المشيب المبكر فيقول
(٥٣٤/٨) :

- ٨٥٦ تقول ابنة العمرى لما رأيته : تَنَكَّرَتْ حَتَّى كَدْتُ مِنْكَ أَهَالُ
٨٥٧ فَإِنْ تَعَجَّيْ مِنْي عَمِيرُ فَقَدْ أَتَتْ لِيَالِي وَأَيَّامُ عَلِيٍّ طَوَالُ
٨٥٨ وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ تَشِيبُ سِرَاتِهِمْ كَذَلِكَ وَفِيهِمْ نَائِلُ وَفِعَالُ
٨٥٩ وَلَوْ لَقِيتُ مَا كُنْتُ أَلْقَى مِنَ الْعَدَى إِذَنْ سَالُ مِنْهَا مَفْرَقُ وَقَذَالُ
٨٦٠ وَلَكِنَهَا فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَفِي الصَّيْفِ كَيْنُ بَارِدُ وَحِجَالُ
٨٦١ تَصَانُ تَعْلُ الْمَسْكُ حَتَّى كَانَهَا إِذَا وَضَعْتَ عَنْهَا النِّصِيفَ غَزَالُ

وأهوال الحروب والوقائع والحوادث كلها تشعل الرأس شيئاً قبل الأوان ، فيقول الشاعر
(٥٤٨/١١٦/٢١) :

- ٨٦٢ فظلال السيوف شين رأسي واعتناق في الحرب صُهبَ السبالِ
ويقول أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله عمير الصحابي (٣١/٤/٣) :
٨٦٣ أيدعوني شيخاً وقد عشتُ حَقْبَةً وَهَنٌ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
٨٦٤ وما شاب رأسي من سنين تتابعت عَلِيٌّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ^(٢٤)

ويقول عبد الله بن قيس الرقيات (٤٢٣/٦/١) :

- ٨٦٥ إِنْ الْحَوَادِثُ بِالْمَدِينَةِ قَدْ شَيَّبَتْنِي وَقَرَعَنَ مَرَوْتِيَةَ

وقد يكون الشيب المبكر بسبب الحزن ، كقول عبد الله بن الزبير الأسدي (٢٢٩/٢/٣) :

- ٨٦٦ رَمَى الْحَدَثَانِ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ صَمَدَنْ لَهُ صُمُودَا
٨٦٧ فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيَضاً وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيَضَ سُودَا

وقد يكون الشيب المبكر من أهوال الهوى وصدود الغواني فيقول ابن فارس من أبيات كتبها

لأبي القاسم بن حسولة (٥٩/٤٠) :

- ٨٦٨ وَأَنْتِ الَّتِي شَيَّبَتْ - قَبْلَ أَوَانِهِ - شَبَابِي ، سَقَى الْغُرَّ الْغَوَانِي شَبَابَكَ

(٢٤) جاء في المنتخب ٧٧/ ٢ ونهاية الأرب ٦٥/ ٣ أن هذا البيت من قول عروة بن الورد .

ويحدثنا أبو العباس النامي أنه لقي من حبيته ما أفشى الشيب في لفته فيقول (٣٦٧/٤/٤) :

٨٦٩ سلاها إذ أسودَّ الهوى في ابيضاضه وإلا سلاني ، كيف بيض مسودّي ؟

٨٧٠ كأن برأسي عسكرين تحاربا فقد كثر استئمان جند إلى جند !

ويقول الشاعر (٧٨/٧/١) :

٨٧١ تكنفي الهوى طفلاً فشيبني وما اكتهلا

ويقول ابن سناء الملك في مطلع قصيدة دالية موجهة إلى الوزير القاضي الفاضل

(٦٠/١/٢٧) :

٨٧٢ شيب فودي رماد نار فؤادي من رمى قلبي بهذا الرماد ؟

ويقول أبو فراس (١١١/٧/٤٥) :

٨٧٣ وما إن شبت من كبر ولكن لقيت من الأحبة ما أشابا

وقد يكون الشيب المبكر بسبب الفراق وهجران الأحبة كقول أبي عثمان سعيد بن هاشم

الخالدي ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبى (١٠٠٧/١١/٤) :

٨٧٤ فديتك ماشبت من كبرة وهذى سننى وهذا الحساب

٨٧٥ ولكن هجرت ، فحل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

وقوله (١٠٠٧/١١/٤) :

٨٧٦ متبرم بعتابه مستعذب لعذابه

٨٧٧ هجر العميد تعمداً فغدا وراح لما به

٨٧٨ وكساه ثوب مشيه في عنفوان شبابه

٨٧٩ فتراه يؤذن في أوا ن مجيئه بذهابه

وقول الهاء الساعاقي الدمشقي (١٢٢/٥٦) :

٨٨٠ فؤادي وفودي بعد لمياء أشيب وقلبي على جمر الغضى يتقلب !

وقول الشاعر (٢٥٢/٦/٥) :

٨٨١ عبد منى وأنعمى قد ملكتم قيادية

٨٨٢ شاب رأسي ولم تشب وابسلاني ليداتييه !

وقول محمود سامي البارودي في مطلع قصيدة يصف فيها الفراق (٢٥٣/١/١٥) :
 ٨٨٣ محا البين ما أبقت عيونُ المها مني وشبتُ ولم أقض اللبَّانةَ من سيني

وقول عبد الله الصفرى (٦٧٧/٨/٤) :
 ٨٨٤ بدا الشيبُ في رأسي فقالت تعجباً لقد شبتَ من هجرى ، وأنت صغيرُ
 ٨٨٥ فقلتُ لها : لاغرو ، إن وصالكم يردُّ شباب المرء وهو كبيرُ

وقول ابن عبد ربه (٣٠٤/٦/١) :
 ٨٨٦ كتب الدمعُ بخديَّ عهدهُ للهوى والشوقُ يُملى ماكتبُ
 ٨٨٧ ما للجهلى ماأراه ذاهباً وسوادُ الرأسِ منى قد ذهبُ
 ٨٨٨ « قالت الحسناء لما جثتها : شاب بعدى رأس هذا واشتهبُ » !

وقد يكون مبعث الشيب المبكر محنة الاغتراب ، كقول الحسن بن محمد بن بابل (٨١١/٩/٤) :

٨٨٩ ألا ما لجسمى قد علاهُ شحوبُ؟ وما بالُ قلبي ضامرته كروبُ؟
 ٨٩٠ وما بال أحشائي توقدُ لوعةً؟ وما بالُ رأسي قد علاهُ مشيبُ؟
 ٨٩١ وما ذاك إلا أن رمتني يدُ النوى وأنى فى أرجاء مصر غريبُ

وقول فوزى المعلوف الشاعر المهجرى عن نفسه فى ملحمة الشعرية بعنوان « بساط الريح » (٢٧٦/٤٨) :

٨٩٢ هو فى ميعة الشباب ولوحدت م فيه ألفيت شيخاً هزيلا
 ٨٩٣ فهو لا يعرف التبسم إلا عندما يستعيد حلماً جميلا

وقد يكون الشيب المبكر من نقص المال الذى يمنح المرء قوة وسلطاناً ، كقول الطرماح (٤٨٦/٨) :

٨٩٤ وشيئنى ألا أزال مناهضاً بغير قوى أنزو بها وأبوع^(٢٥)
 ٨٩٥ وأن رجال المال أضحووا ومالهم لهم عند أبواب الملوك شفيح
 ٨٩٦ أمخترمى ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصى به وأطيعُ؟

(٢٥) ورد عجز هذا البيت فى المصدر نفسه ص ٥٤٤ هكذا : بغير ثراً أثرو به وأبوع .

وقد يكون من سطوة الرجال ، كقول العبدوسى محمد بن عبدوس الواسطى (١٨/٥٦) :

٨٩٧ اسْمَعْ أَخِي مِنْ أَخِي اخْتِبَارٍ قَدْ شَيَّبَتْ رَأْسَهُ الرَّجَالُ

وقد يكون الشيب المبكر مبعثه جور الحكام : كقول ابن عبد ربه (٣٥٠/٢/١) :

٨٩٨ جَارَ الْمَشِيبُ عَلَى رَأْسِي فَغَيَّرَهُ لَمَّا رَأَى عِنْدَنَا الْحُكَّامَ قَدْ جَارُوا

٨٩٩ كَأَنَّمَا جُنَّ لَيْلٌ فِي مَفَارِقِهِ فَاعْتَاقَهُ مِنْ بَيَاضِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ

وقول أبي الطيب (٨٥٦/٢/١١) :

٩٠٠ لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَهْوُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ

ومن الشعراء من لا يحاول تبرير المشيب بأنه حلّ قبل أوانه ، وإنما يكتفى بالعجب

والاستنكار ، فيقول أبو فراس الحمداني من قصيدة له (٧٠/١/٤) :

٩٠١ عَذِيرِي مِنْ طَوَالَعٍ فِي عِذَارِي وَمِنْ رَدِّ الشَّبَابِ الْمُسْتَعَارِ

٩٠٢ وَثُوبٍ كُنْتُ أَلْبَسُهُ أَنْيَقِي أَجْرَرُ ذَيْلَهُ بَيْنَ الْجَوَارِي

٩٠٣ وَمَا زَادَتْ عَنِ الْعَشْرِينَ سَنِي فَمَا عَذَرَ الْمَشِيبِ إِلَى عِذَارِي

وما استمتعتُ من داعي التَّصَالِي إِلَى أَنْ جَاءَنِي دَاعِي الْوَقَارِ (٢٦)

وقد أخذ البيت الثالث من قول أبي نواس :

٩٠٤ وَإِذَا عَدَدْتُ السِّنَّ كَمْ هِيَ لَمْ أَجِدْ لِلشَّيْبِ عُدْرًا لِلنُّزُولِ بِرَاسِي

ولا يرى ابن الرومي عجباً في أن يشيب الفتى ، فيقول في مطلع قصيدة يخاطب فيها علي بن

يحيى (٨٢/٣٥) :

٩٠٥ شَابَ رَأْسِي وَلَاتِ حِينَ مَشِيبِ وَعَجِيبَ الزَّمَانِ غَيْرَ عَجِيبِ

ويقول (١٠٨/٧) :

٩٠٦ قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَرَى النَّارَ فِي الْقَضِيبِ الرُّطِيبِ ١

(٢٦) سبق أن أوردنا هذا البيت تحت رقم ٦٤٢ من هذا الفصل ولذلك لم نعطه هنا رقماً .

الفصل الثالث

مقاومة المشيب : الخضاب

ومما يفعله المشيب أيضاً أنه يضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الخضاب طوعاً أو كرهاً : فهو بعد أن يستنفد الحجج في الدفاع عن المشيب - يحاول أن يقاومه ، وذلك بإخفائه بالخضاب . غير أن الشعراء لا يجمعهم في ذلك رأى واحد : فمنهم : من يستحسن الخضاب ويحضّ عليه ، ومنهم من يستهجنه ويراه نفاقاً وزوراً ، ومنهم من يرى أنه ضرورة لابدّ منها ويلجأ المرء إليها على كره منه ، ومنهم من يرى أنه لا جدوى منه .

٣- أ : استحسان الخضاب والحضّ عليه :

مما قيل في استحسان الخضاب أنه أحد الشبابين ، وأنه تذكرة الشباب ، فنجد أن ابن المعتز مثلاً يرى أن الخضاب شباب جديد فيقول (١١٠/٧) :

٩٠٧ وقالوا النصول مشيب جديد فقلت الخضاب شباب جديد

٩٠٨ أساء هذا بإحسان ذا فإن عاد ذاك فهو يعود

ومن الشعراء من يرى أن الخضاب تجديدٌ لما أخلقه صرف الزمان ، ونحن نقرأ أنه كانت عند معاوية جارية أعز جواريه عنده ، كانت متولية خضابه ، فغناه بديع^(٢٧) في مجلس عبد الله بن جعفر (٢٠/٧ - ٢١) :

٩٠٩ أليس عندك شكرٌ للتي جعلتُ ما أبيضُ من قاداتِ الريش كالحمم

٩١٠ وَجَدَدَتْ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَخْلَقَهُ صِرْفُ الزَّمَانِ وَطُولُ الدَّهْرِ وَالْقِدَمُ ؟

ومن الشعراء من يرى أن الخضاب إماتة للشيب ، ومن ثم فهو مبعث للحياة ولو إلى حين ، فيقول الشاعر (١١٠/٧) :

(٢٧) جاء في العقد الفريد ٢/ ٣٥٤ أن الجارية هي التي غنت .

٩١١ الشيب موقى ولكن فى إمامته نحيا الليالى قليلاتٍ وأياماً

ويبرر المنتهى اللجوء إلى الخضاب بأن أحسن الشعر هو الفاحم السواد ، فيقول
(٣٥٥/٤/٤) :

٩١٢ مُشِبُّ الذى يبكى الشبابَ مُشِيبُهُ فكيف تَوَقَّيْهِ وبانيه هادِمُهُ؟

٩١٣ وماخَضَبَ الناسَ البياضَ لأنه قبيحٌ ، ولكن أحسنُ الشعر فاحِمُهُ

ومن الشعراء من يخضب الشيب يبغي ودَّ الغوانى ، كقول أبى سهل النوبختى
(٣٨٣/٣/١٢) :

٩١٤ أخضِبُ الشيبَ للغوانى أبغى به عندها ودادا !

٩١٥ لكن خضابى على شبابى لبستُ من بعده الحدادا

ونجد فكرة الحداد هذه فى أبيات لابن الرومى سياقى ذكرها فى نهاية هذا الفصل ، وفى قول
يحيى ابن عبد الملك بن هذيل يلمس عذرا لخضابه (٧٢٧/٨/٤) :

٩١٦ لما رأت شَعْرَى تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ورأته محتجبا وراء حجاب

٩١٧ قالت : خضبت ، فقلت شيبى إنما لبسَ الحدادَ على ذهابِ شبابى !

٣ - ب : استهجان الخضاب ورفضه :

قيل فى ذم الخضاب : إن الإسكندر قال لرجل خضب الشيب : هب أنك خضبت سائر آثار
الكبر ، وفى هذا المعنى يقول أبو العباس (٣١٣/١/٥٥) :

٩١٨ تغضُّ الشيبَ جهْدَكَ بالخضابِ لترجع فيك أُبْهَةُ الشبابِ !

٩١٩ فكيف وقد كساك الشيبُ ثوباً كأخلق ما يكون من الثياب؟

٩٢٠ به ظهرت معائبُ فيك شَتَّى حوادثُ لم تكن لك فى حساب

٩٢١ تعيب الشيبَ من سفهِ وجهي وأعيبُ منه شُغْلُكَ بالخضاب !

ويقول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب (٨٤/٢/١٤) :

٩٢٢ ياخاضبَ الشيب والأيام تظهره هذا شبابٌ لعمرُ الله مصنوعُ !

٩٢٣ أذكرتنى قول ذى لبٍّ وتجربةٍ فى مثله لك تأديبٌ وتقريعُ

٩٢٤ إن الجديدَ إذا ما زيد فى خلقٍ تبينَ الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

ومن الشعراء من يحض على رفض الخضاب ؛ لأنه يذهب بجمال المشيب ، كقول الشاعر
(١٢٨٤/٣/١١) :

٩٢٥ الشيبُ أبهى من الشباب فلا تُهَجِّجْهُ بالخضابِ

٩٢٦ هذا غرابٌ وذاك بازٌ والبازُ أبهى من الغرابِ

وبالإضافة إلى هذا كله نجد من الشعراء من يرى أن الخضاب أمرٌ يدعو إلى التعبير به ؛ لأنه
يزيد من قبح المشيب ، فيقول الشاعر (١١١/٧) :

٩٢٧ خضبتُ شيبى ليخفى وكان ذاك لِعِلَّةٍ

٩٢٨ فقليل شيخٌ خضيبٌ قد زوّدَ الطين بِلَّةٍ

ويرى المتنبي أن الخضاب كذب وخداع فنسمعه يقول (١١١/٧) :

٩٢٩ ومن هوى كل ما كانت ممهية تركت لون مشيبى غير مخضوب

٩٣٠ ومن هوى الصديق في قوله وعادته رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

وفي هذا المعنى نجد أن أبا إسحق الصابي يضرب المثل على الفرق بين الصديق المخلص
والصديق المنافق بسواد الشعر الطبيعي والسواد الناتج عن الخضاب فيقول من أبيات له ردّها على
كتاب بعث به إليه أبو محمد جعفر بن ورقاء الشيباني يعاتبه على انقطاعه عن زيارته
(١٤٥/٢/٤) :

٩٣١ لا تَفَرِّحَنَّ من الصديق بشاهدٍ حتى يكون موافقاً للغيبِ

٩٣٢ وتأمّل المسودَّ من شعرِ الفتى أهو الشيبَةُ أم خضابُ الشيبِ؟

ويرى ابن طباطبا أن الخضاب غشّ وخديعة ، فنسمعه يقول (٦٤٩/٧/٤) :

٩٣٣ قالت أراك خضبتَ الشيبَ ، قلت لها سترته عنك يا سمعى ويا بصرى

٩٣٤ فاستضحكت ثم قالت من تعجبها : تكاثر الغشُّ حتى صار في الشعر !

ويرى السرى الرفاء أن الخضاب زور ، وأن المشيب إنما هو خضاب الله ، فيقول
(٨٩٩/١٠/٤) :

٩٣٥ خلّت منه ميادين التّصابي وعرّى منه أفراس الشبابِ

٩٣٦ وزهّدْ خضابُ الله لما تولى عنه في زورِ الخضابِ

ومن ثم : فإن ستر الشيب بالخضاب ليس هو الستر الحقيقي وإن مايسعى إليه المرء هو أن يستر الله شيبه من النار وفي ذلك يقول الشاعر (١١١/٧) :

٩٣٧ يا خاضِبَ الشيب بالحِجًّا لِيستِرهُ سَلِّ الإِلَهَ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ
ويستَهجن آخر الخضاب ؛ لأنه يعتبره مشاركة للمخالق في صبغته فيقول (١١١/٧) :

٩٣٨ يا خاضِبَ اللحية ماتستحي تشارك الرحمن في صبغته !

٩٣٩ أقبح شيء شاع بين الوري أن الفتى يكذب في لحيته

ومن الشعراء من يرفض حض الغواني لهم على الخضاب ؛ لأنهم يرون أن المشيب نذير ينبغي الإصغاء إليه ، وهذا مايتفق في المعنى مع ماأوردناه تحت ٢ - ب - ٤ من أن المشيب طريق الردى ، فيقول الشاعر (٣٥٥/٢/١) :

٩٤٠ وقائلة تقول وقد رأيتني أرفع عارضتي من القتير :

٩٤١ عليك الخطر علك أن تدنني إلى بيض ترائهن حور

٩٤٢ فقلت لها : المشيب نذير عمري ولست مسوداً وجه النذير

وفي هذا المعنى يقول شميم الحلبي (٧/٥٦) :

٩٤٣ أقول لآمرة بالخضاب تحاول ردّ الشباب النضير

٩٤٤ أليس المشيب نذير الإله ومن ذا يسود وجه النذير؟

ويقول أحمد النهرجوري (٧/٥٦) :

٩٤٥ وقائلة تخضب فالفواني قعود عن مصاحبة الكهول

٩٤٦ فقلت لها : المشيب رسول ربي ولست مسوداً وجه الرسول !

٣ - ج : ضرورة الخضاب :

ومن الشعراء من يرى أن الخضاب ضرورة لامندوحة عنها ، فنسمع ابن عبد ربه يستحث نفسه على اللجوء سريعاً إلى الخضاب فيقول (٢٩٢/٦/١) :

٩٤٧ ولت حميا الشباب عني فلّهف نفسي على الشباب

٩٤٨ أصبحت والشيب قد علاني يدعو حثيثاً إلى الخضاب

أما محمود الوراق فيرى أن الشيب ضيف محل عند المرء ، ومن حق الضيف أن يُقرى ، وقرى

الشيب هو الخضاب ، فيقول (٣٥٥/٢/١) :

- ٩٤٩ للضيف أن يُقرى ويُعرف حقه
والشيبُ ضيفك فاقره بخضاب
٩٥٠ وافى بأكذب شاهدٍ ، ولربما
وافى المشيبُ بشاهدٍ كذابٍ
٩٥١ فأزحُ شهادته عليك بخضبه
تنفى الظنونَ به عن المرتاب
٩٥٢ فإذا دنا وقت المشيب فخله
والشيبُ يذهبُ فيه كُلُّ ذهاب

وإن الخضاب لضرورة مكروهة ؛ إذ يعمد إليه المرء على كره منه ، اتقاء لعزوف الغواني عنه ،
فيقول الشاعر (٣٥٥/٢/١) :

- ٩٥٣ إن شيئاً صلاحه بخضابٍ لعذابٍ مُوَكَّلٌ بعذابٍ
٩٥٤ فَوَحَقَّ الشبابُ لولاه والبيضُ م وأن تسمثرَ نفسُ الكِعَابِ
٩٥٥ لأرحتُ الخدين من وضر الخطر ر وأذنتُ بانقضاء الشباب

بيد أن عبدان الأصفهاني يرى غير هذا الرأي : فالخضاب إن كان عنده ضرورة فإن مايدعو
إليه ليس هو الرغبة في اجتذاب الغواني ؛ وإنما الرغبة في إخفاء المشيب الذي يطالعه في المرأة كل
يوم ينعى إليه نفسه ، وهو مايتفق مع ماسبق أن تحدثنا عنه في ٢ - ب - ٤ عن ارتباط المشيب في
وجدان الشاعر بالموت ، يقول عبدان الأصفهاني (١١٠/٧) :

- ٩٥٦ في مشيبي شماتة لعدائي وهو ناعٍ منغصٌ لحياي
٩٥٧ ويعيبُ الخضابَ قومٌ وفيه لى أنس إلى حضور وفائي
٩٥٨ لا ومن يعلم السرائر منى مابه رُمْتُ خلة الغانيات
٩٥٩ إنما رُمْتُ أن يُغيب عني مائرنيه كُلَّ يومٍ مِراتي
٩٦٠ وهو ناعٍ إلى نفسي ومن ذا سره أن يرى وجوه النعاة؟

٣ - د : عدم جدوى الخضاب :

ومن الشعراء من يرى أن الخضاب ماهو إلا حلٌّ مؤقت لمشكلة المشيب ؛ إذ إنه سرعان
ماينقشع ، ويعود المشيب إلى الظهور من جديد ، ومن ثم فإن الخضاب عديم الجدوى ، وفي
ذلك يقول علي بن جبلة وهو يمدح عبد الله بن طاهر (٨٩/١٨) :

- ٩٦١ راعه الشيبُ إذ نزل وكفاه من العذل
٩٦٢ وانقضت مدة الصبا وانقضى اللهو والغزل

٩٤

٩٦٣ قد لعمري دَمَلْتُهُ بخضابٍ فما اندملُ
٩٦٤ فأبكِ للشيبِ إذ بدا لأعلى الربعِ والطللُ

ويقول الحسن بن علي رحمه الله (٣٥/١/١٤) :

٩٦٥ نُسَوِّدُ أعلاها ، وتأبى أصولها فليت الذي يَسَوِّدُ منها هو الأَصْلُ

وفي هذا المعنى يقول محمود الوراق (١١١/٧) :

٩٦٦ يا خاضِبَ الشيبِ الذي في كل ثالثةٍ يعودُ
٩٦٧ إن النصول إذا بدا فكأنه شيبٌ جديد
٩٦٨ بدوية رعوية مكروها أبدأ عتيد
٩٦٩ فدع المشيب كما أرا دَ فلن يعود كما تُريدُ

ويقول ابن عبد ربه في عدم جدوى الخضاب ومتحسراً أيضاً على الشباب (٣٠٢/٦/١) :

٩٧٠ بياضُ شيبٍ قد نَصَعُ رَقَعْتُهُ فما ارتقعُ
٩٧١ إذا رأى البيض انقمعُ ما بين يأسٍ وطمعُ
٩٧٢ لله أيامُ النخعِ «ياليتني فيها جَدَعُ !
٩٧٣ أَخْبُ فيها وَأَضَعُ»

ويقول أيضاً (٣٥٥/٢/١ - ٣٥٦) :

٩٧٤ أَصَمَّمُ في الغواية أَمْ أنابا وشيبُ الرأس قد أنضى الشبابا
٩٧٥ إذا نَصَلَ الخضابُ بكى عليه ويضحك كلما نَصَلَ الخضابا
٩٧٦ كأنَّ حامةً بيضاء ظَلَّتْ تُقاتِلُ في مفارقةٍ غرابا

وفي عدم جدوى الخضاب عند العجائز يقول الشاعر (٥١٢/١١٦/٢١) :

٩٧٧ عجائزٌ يطلبن شيئاً ذاهباً يخضبن بالحناء شيباً شائباً
٩٧٨ يَقُلْنَ كُنَّا مرةً شبائباً

وعن افتضاح الخضاب يقول الشاعر (٨٤/٢/١٤) :

٩٧٩ تولى الجهل وانقطع العتابُ ولاح الشيبُ وافتضح الخضابُ
٩٨٠ لقد أبغضتُ نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخودُ الكعابُ ؟

ويقول آخر مشيراً إلى التناقض بين سواد الخضاب وتجاعيد الوجه ، وهو ما يتفق مع قول الإسكندر الذي بدأنا به ٣ - ب (٣٥٥/٢/١) :

- ٩٨١ بَكَرْتُ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خَضَابِي لَكَأَنَّ ذَاكَ يَعِيدُنِي لَشَبَابِي !
 ٩٨٢ وَإِذَا أُدِيمُ الْوَجْهَ أَخْلَقَهُ الْبَلِي لَمْ يُتَفَعَّ فِيهِ بِحُسْنِ خَضَابِ
 ٩٨٣ مَاذَا تَرَى يُجْدِي عَلَيْكَ سَوَادُهُ. وَخِلَافَ مَا يَرْضِيكَ تَحْتَ ثِيَابِي ؟
 ٩٨٤ مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْخَضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جَلَّتْ بِسَحَابِ
 ٩٨٥ تَخْفَى قَلِيلاً ثُمَّ يَقْشَعُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لِذَهَابِ

ولابن الرومي عدة أبيات في عدم جدوى الخضاب وهو يصفه بأنه حداد على الشباب ، وقد سبق أن رويناه في ٣ - أ أبياتا لكل من أبي سهل النوبختي ويحيى بن عبد الملك بن هذيل تحمل هذا المعنى . يقول ابن الرومي (٣٨٢/٣/١٢ - ٣٨٣) :

- شَابَ رَأْسِي وَلَاتَ حِينَ مَشَيْبَ وَعَجِيبُ الزَّمَانِ غَيْرَ عَجِيبِ (٢٨)
 ٩٨٦ سَاءَ مَا أَنْ رَأَتْ حَبِيباً إِلَيْهَا ضَا حَكَ الرَّأْسِ عَنْ مَفَارِقِ شَيْبِ
 ٩٨٧ فَدَعَتْهُ إِلَى الْخَضَابِ وَقَالَتْ : إِنَّ دَفْنَ الْمَعِيبِ غَيْرَ مَعِيبِ
 ٩٨٨ يَا حَلِيفَ الْخَضَابِ لَا تَخْذَعْ النَّفْسَ سَ مَا أَنْتَ لِلصَّبَا بِنَسِيبِ !
 ٩٨٩ لَيْسَ يُجْدِي الْخَضَابُ شَيْئاً مِنَ النَّفْسِ عَ سَوَى أَنَّهُ حَدَادُ كُتَيْبِ
 ٩٩٠ فَاتَّخَذَهُ عَلَى الشَّبَابِ حَدَاداً وَأَبْلَكَ فِيهِ بَعْبَرَةً وَنَحِيبِ

ويقول ابن الرومي أيضاً مشيراً في البيت الأخير من الأبيات التالية إلى تناقض سواد الخضاب مع تجاعيد الوجه ، وهو ما سبق أن أشرنا إليه آنفاً (٣٨٢/٣/١٢) :

- ٩٩١ رَأَيْتُ خَضَابَ الْمَرْءِ عِنْدَ مَشْيِهِ حَدَاداً عَلَى شَرْخِ الشَّيْبَةِ يُلْبَسُ
 ٩٩٢ وَإِلَّا فَمَا يَغْزُو أَمْرُو بِخَضَابِهِ أَيْطَمَعُ أَنْ يَخْفَى شَبَابٌ مَدْلَسُ ؟
 ٩٩٣ وَكَيْفَ بَأَنْ يَخْفَى الْمَشِيبُ لَخَضَابٍ وَكُلُّ ثَلَاثٍ صُبْحُهُ يَتَنَفَّسُ ؟
 ٩٩٤ وَهَبْهُ يَوَارِي شَيْبَهُ ، أَيْنَ مَاؤُهُ؟ وَأَيْنَ أُدِيمُ لِلشَّيْبَةِ أَمْلَسُ ؟

ويقول أيضاً (٣٨٢/٣/١٢) :

- ٩٩٥ إِذَا دَامَ لِلْمَرْءِ السَّوَادُ وَلَمْ تَدَمْ غَضَارَتُهُ ظَنَّ السَّوَادَ خَضَاباً

(٢٨) سبق أن أوردنا هذا البيت تحت ٢ - د - ٣ برقم ٩٠٥ ، ومن ثم فلم نعطه رقماً هنا .

٩٩٦ فكيف يظن الشيخ أن خضابه يُظنُّ سواداً أو يخالُّ شباباً؟

ويقول (٣٨٢/٣/١٢) :

٩٩٧ يأيّها الرجل المسودّ شبيهٌ كما يُعدّ به من الشبان

٩٩٨ أقصرُ فلو سودت كلّ حمامةٍ بيضاء ماعدت من الغربان

ويقول ابن الرومي أيضاً (٣٨٢/٣/١٢) :

٩٩٩ خضبت الشيبَ حين بدا لتُدعى فتىً حدثاً ضلالاً مارتجيتاً !

١٠٠٠ فدع عنك الخضابَ ولا تردهُ فأجدي منه قولك لو وليتاً !

الفصل الرابع

الاستسلام للواقع : آيات الكبر

وإذ تأخذ في الظهور آيات الكبر - من ضعف في الجسم ، وانحناء في الظهر ، وارتعاش في الأطراف - يفقد الشاعر حجته في الدفاع عن المشيب ، فيستسلم للأمر الواقع ، ويجاهر بتلك التغيرات التي تأخذ طريقها إلى جسمه وإلى نفسه على السواء ، ويجار بالشكوى منها جميعاً .

ويبدأ الشاعر بالتأكيد على أن ما يصيبه من هرم إن هو إلا سنة الحياة ، وطول العمر الذي يبلى كل جديد ، فنسمع ساعدة بن جؤية الشاعر الهذلي يقول في مطلع قصيدة له تبلغ ستة وأربعين بيتاً (١٩١/٥٠) ، مع ملاحظة أن البيت ورد في ٢٨٦/١٩ مختلفاً قليلاً :

١٠٠١ ياليت شعري ألا منجى من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم ؟

ويقول جرير (٣١/١/٢) :

١٠٠٢ أرى مرَّ السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

ويقول عبد الملك بن مروان (٤٧٤/٨) :

١٠٠٣ وكلُّ جديد يا أميمٌ إلى بلى وكلُّ امرئ يوماً يصير إلى كانا

ويقول الشاعر (٤٢٩/٨) :

١٠٠٤ فلنَّ عُمِرْتُ لَقَدْ عُمِرْتُ كَأَنِّي غصنُ تثنيه الرياح رطيبُ

١٠٠٥ وكذلك حقاً من يعمرُّ يُبْلَى كَرَّ الزمان عليه والتقليب

١٠٠٦ حتى يعود من البلى وكأنه في الكفِّ أفوق ناصل معصوب

١٠٠٧ مرط القذاذ فليس فيه مصنع لا الريش ينفعه ولا التعقيب

ويرد محمد بن فطيس على من يعيب الكبر رداً رادعاً فيقول (٨٠٩/٩/٤) :

١٠٠٨ ثكلتك أمك هل سمعت مخلداً أم هل رأيت مُصَحَّحاً لم يَسْقَم ؟

١٠٠٩ أم هل رأيت من البرية ناشئاً نال الذي في مدّة لم يَهْرَم ؟

ويتحدث الشعراء عن آثار الكبر الظاهرة للعيان : كضعف الجسم وانحناء الظهر وارتعاش الأطراف ، كقول الأغلب العجلي وهو ممن عمر طويلاً ، مشيراً في البيت الأول بكلمة « النقص » إلى البعير أعياه السير وأهزله ، وهي مشية الرجل الهرم (١٦٩/٤/٣) :

١٠١٠ أصبحت لا يحمل بعضى بعضى منفها أروح مثل النقض

١٠١١ مرّ الليالى أسرع فى نقضى طوين طولى وطوين عرضى

١٠١٢ ثم التحين عن عظامى نحضى أقعدنى من بعد طول نهضى

ويروى أن معاوية رأى هزاله وهو متعرّ فقال فى أبيات مشابهة (٥٨٦/٨) :

١٠١٣ أرى الليالى أسرع فى نقضى أخذن بعضى وتركن بعضى

١٠١٤ حنين طولى وتركن عرضى أقعدنى من بعد طول النهض

ويقول حبيب بن أحمد الشاعر وكان قد بلغ سناً عالية (٨١٥/٩/٤) :

١٠١٥ الحمد لله على ما قضى فكل ما يقضيه فيه الرضا

١٠١٦ قد كنتُ ذا أيدٍ وذا قوةٍ فالיום لا أستطيع أن أنهضاً

ويقول جندل (٤٢٨/١١٢/٢١) :

١٠١٧ بل إن ترى شمطاً تفرع لمتى وحنى قناتى وارتقى فى مسحلى

ويقول الشاعر (١٦٨٩/٤/١١) :

١٠١٨ حنى أعظمى مرّ الزمان الذى مضى وبدلت من رأسى ثلاثة رؤوس

١٠١٩ حفافين مثل القذتين وهامة يزلّ الذباب الثقف عنها فيفرس

ويروى لنا صاحب خزانة الأدب أن أبا حاتم السجستاني روى فى كتاب المعمرين ، بسنده إلى الشعبي قال : أرسل إلى عبد الملك بن مروان وهو شاكٍ ، فدخلت عليه فقلت : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ، فقال : أصبحت كما قال ابن هيثم الشاعر (٢١٧/٢) :

١٠٢٠ كأنى وقد جاوزتُ تسعين حجةً خلعتُ بها عنى عذار الجام^(٢٩)

١٠٢١ رمتنى بناتُ الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمى وليس برام؟

(٢٩) ورد فى العقد الفريد (٣٥٩/٢) أن الأبيات لزهير ، وقد جاء فى البيت الأول لفظ « سبعين » بدلا من « تسعين » وفى البيت الأخير لفظ « تارة » بدلا من « مرة » كما جاء صدر البيت الثالث هكذا : فلو أننى أرمى بنبل رأيتها . .

- ١٠٢٢ فلو أنها نبلٌ ، إذن لاتقيتها ولكني أرمى بغير سهام !
 ١٠٢٣ إذا مارآني الناس قالوا : ألم تكن جليداً شديداً البطش غير كهام ؟
 ١٠٢٤ فَنَيْتُ ولم يفن من الدهر ليلة ولم يغن ما أفنيت سلك نظام
 ١٠٢٥ على الراحتين مرة ، وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامي

ويقول إيليا أبو ماضي من مطولته الشعرية «الحكاية الأزلية» يصف رجلاً هرمًا
 : (٢٨٢/٤٨)

- ١٠٢٦ كأنما زلزلة تحته مما به من رعشة واضطراب

ويرى الشعراء أن الكبر يجعل الفارس المغوار من العجز والضعف بحيث لا يعدّ صالحاً لخوض
 غمار الحروب . ويعبر أبو العلاء عن هذا المعنى في درعيتين له هما الدرعية الأولى والدرعية
 السابعة : ففي الدرعية الأولى يقول على لسان رجل ترك لبس الدروع لكبره (١١/٤/١٧٠٧ -
 ١٧١١ ، الأبيات ١ - ٧) :

- ١٠٢٧ رأني بالمطيرة لارأني قريباً والمُخيلة قد نأني
 ١٠٢٨ وأخلقتُ الشبابَ وكان بردى وفارقتُ الحُسامَ وكان حيني
 ١٠٢٩ كأني لم أُرِدْ الخيلَ تَرْدِي إذا استسقيتها علقاً سَقَتْنِي
 ١٠٣٠ ألقى الدَّارَعينَ بغيرِ درعٍ وأدعو بالمدجج لا تفتني
 ١٠٣١ كأنَّ جِيادَهُم أسرابٌ وَحْشِي أَصْرَعْنَنِّ مِنْ رُبْدٍ وَأَتْنِي
 ١٠٣٢ وما أعجلتُ عن زردٍ جِداراً ولكنَّ المفاضة أثقلتني
 ١٠٣٣ أَكَلْتُ منكبي سُمُرَ العوالي وَحَمَلْتُ السَّابِرِيَّ أَكَلَّ مَتْنِي

وفي مطلع الدرعية السابعة يقول على لسان رجل أسنّ وضعف عن لبس الدرع ، معبراً عما
 ينتاب مثل هذا الرجل من مخاوف (١١/٤/١٨١٢) :

- ١٠٣٤ أراني وضعتُ السَّردَ عني وعزني جوادى ولم ينهضْ إلى الغزو أمثالي
 ١٠٣٥ وقيدني العودُ البطيء وقيل لي وراك إن الدئب منك على بال !

ومعنى هذين البيتين من قول الربيع بن ضبع الفزاريّ وهو من المعمرين (١١/٤/١٨١٣) :

١٠٣٦ أصبح مني الشبابُ قد حَسَرَا إن كان ولي فقد ثوى عمرا
 ١٠٣٧ أصبحتُ لا أحمل السلاحَ ولا أُمُ ليكُ رأس البعير إن نفرا

١٠٣٨ والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيحَ والمطرا !

ومادام الكبر يؤدي بالجسم إلى هذه الحالة من الضعف فحري بالمرء أن يتعقل ويستمع إلى تحذير ابن مكي الصقلي إذ يقول (١٢٣/٢٦) :

١٠٣٩ أَيْرُومُ مِنْ نَزَلِ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ مَا قَدْ تَعَوَّدَ قَبْلَهُ مِنْ فِعْلِهِ ؟

١٠٤٠ مَنْ لَمْ يَمِيزْ نَقْصَهُ فِي جِسْمِهِ فِي الْأَرْبَعِينَ فَإِنَّهُ فِي عَقْلِهِ

ونجد الجاحظ يواجه هذا الواقع المرير ؛ إذ قال حين زاره المبرد في بؤس مرضه ، وسأله عن حاله (٢٤/٢٠) :

١٠٤١ أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ ؟

١٠٤٢ لَقَدْ كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثُوبٌ دَرِيسٌ كَالْجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ !

وليس أدل على هذه الحقيقة من أن الكبر يكون ذريعة للاعتذار عن أداء عمل يتطلب القيام به شباباً لا يزال في ميعة الصبا . وفي هذا المعنى نجد هذه الأبيات التي أرسلها الحسين بن الضحاك للمتوكل يعتذر عن عدم منادمته لكبر سنه (٤٧٤/٢/٦ ، ٢٢٥/٧/٥ - ٢٢٦) :

١٠٤٣ أَمَا فِي الثَّمَانِينَ وَفَيْتُهَا عَذِيرٌ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَعْتَذِرْ

١٠٤٤ فَكَيْفَ وَقَدْ جُزَّتْهَا صَاعِدًا مَعَ الصَّاعِدِينَ بِتَسَعٍ أُخَرُ

١٠٤٥ وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْلَامَهُ عَنْ ابْنِ ثَمَانِينَ دُونَ الْبَشَرِ

١٠٤٦ سِوَى مَنْ أَصَرَّ عَلَى فِتْنَةٍ وَالْحَدَّ فِي دِينِهِ أَوْ كَفَرَ

١٠٤٧ وَإِنِّي لَمَنْ أَسْرَأَ إِلَّاهُ فِي الْأَرْضِ نُصِبَ صُرُوفِ الْقَدَرِ

١٠٤٨ فَإِنْ يَقْضَى لِي عَمَلًا صَالِحًا أَثَابَ وَإِنْ يَقْضَى شَرًّا غَفَرَ

١٠٤٩ فَلَا تَلَحْ فِي كِبَرِ هَدَنِي فَلَا ذَنْبَ لِي أَنْ بَلَغْتُ الْكِبَرَ

١٠٥٠ فَقَدْ بَسَطَ اللَّهُ لِي عُذْرَهُ فَمَنْ ذَا يَلُومُ إِذَا مَاعَذَرُ ؟

وإن الكبر ليرك أثره في مشية المرء ، فتقصر خطاه وتتعثّر . ونجد للشعراء وصفاً لتلك المشية في أكثر من موضع فقد سبق أن روينا في وصف المشية البيت رقم ١٠١٠ وقال أعرابي (٣٥٨/٢/١) :

١٠٥١ أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بَرَكَبْتِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مَشِيَّتِي

١٠٥٢ كَهَدَجَانِ الرَّأْلِ خَلْفَ الْهَيْئَةِ

ويقول عدى بن زيد (٣٥٦/٣/٥) :

١٠٥٣ حَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَانَنِي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدٍ

١٠٥٤ قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ يَرَانِي وَلَسْتُ مَقِيداً أُنَى بِقَيْدٍ !

ومن ثم فإن الكبر يجعل السير مسافات طويلة أمراً شاقاً ، وهانحن أولاء نسمع عبد المحسن الصورى يرد على أبيات بعث بها إليه الشاعر أحمد بن سليمان الفجرى يدعوه لزيارته وعبر البحر أو قطع الفيافي ، فيقول (٤٨٩/٦/٤) :

١٠٥٥ جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ ذَا النَّصْحِ خَيْرًا وَلَكِنْ جَاءَ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ

١٠٥٦ وَقَدْ حَدَّثَ لِي السَّبْعُونَ حَدًّا نَهَى عَمَّا أَمَرْتَ مِنَ الْمَسِيرِ

ويؤدى الكبر بالمرء إلى أن يتوكأ فى سيره على العصا من ضعف ووهن ، وبذلك يكون موضع شماتة أعدائه ؛ كما يسأمة أهله . ويعبر عروة بن الورد عن ذلك بقوله (٨٢/٣/٥) :

١٠٥٧ أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أَدَبَ عَلَى الْعَصَا فِيشِمْتَ أَعْدَائِي وَيَسْأَمُنِي أَهْلِي^(٣٠)

١٠٥٨ رَهِينَةٌ قَعَرُ الْبَيْتِ كُلِّ عَشِيَةٍ يَطِيفُ بِبَى الْوَلَدَانِ أَهْدَجَ كَالرَّأْلِ !

ونجد فى عجز البيت الثانى وصفا للمشية وهو الهدجان الذى جاء ذكره فى البيت رقم ١٠٥٢ . ونجد أن الشاعر هنا يشبه نفسه بالرأل ، وهو ولد النعام أو حويله ، لأن مشيه يكون ارتعاشاً .

وجدير بالذكر أن لزوم العصا قد جاء فى الشعر كآية من آيات العجز نتيجة الكبر ، والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة ، وهو يجد مس العجز ، فيقول : لو كان فى العصا سير ! وإذا لم يجعل المسافر فى عصاه سيرا سقطت من يده إذا نعس ، والشيخ يتوكأ على العصا فتعاونه على السير وتكون له دعامة . ونروى هنا بيتين لخرثان ذى الإصبع ، إذ يقول لأمامة وقد رآته نهض فسقط وتوكأ على عصا فبكت (٣٨٢/٢/٦) :

١٠٥٩ جَزَعْتَ أَمَامَةً أَنْ مَشَيْتَ عَلَى الْعَصَا وَتَذَكَّرْتُ إِذْ نَحْنُ مِنَ الْفَتِيَانِ

إلى أن يقول :

١٠٦٠ لَا تَعْجَبَنَّ أُمَامُ إِنَّ حَدَّثَ عَرًّا فَالدهرُ غَيْرُنَا مَعَ الْأَزْمَانِ

(٣٠) وردت فى البيان والتبيين ٤٢٩ لفظة « فيامن » بدلا من « فيشمت » .

١٠٢

ومع الكبر وضعف الجسم وانحناء الظهر ، ولزوم العصا ، تفد الأمراض والعلل ، فيقول جرير : (٣٥٨/٢/١)

١٠٦١ تحيا العظامُ الراجفات من البلى ما إن لداء الركبتين دواءً
ويقول الشاعر (٣٥٨/٢/١) :

١٠٦٢ وللكبير دآيات أربع الركبتان والنساء والأنخدع
وقال أبو ضبة في رجليه (٤٢٦/٨) :

١٠٦٣ وقد جعلتُ إذا مانمتُ أوجعني
١٠٦٤ وكنتُ أمشي على رجلين معتديلاً
ظهري وقمتُ قيامَ الشارف الظهري
فصرتُ أمشي على رجلٍ من الشجر

وقال رجل من بني عجل (٤٢٦/٨) :

١٠٦٥ وشي بي واشٍ عند ليلي سفاهةً
١٠٦٦ وخبرها أني عرجتُ فلم تكن
١٠٦٧ وما بي من عيب الفتى غير أني
فقلت له ليلي مقالة ذي عقلٍ
كورهاء تجتر الملامة للبعل
جعلتُ العصا رجلاً أقيمُ بها رجلى

وفي هذا المعنى يقول أعرابي من بني تميم (٤٢٦/٨) :

١٠٦٨ وما بي من عيب الفتى غير أني ألفت قناتي حين أوجعني ظهري

ويقول السيد عبد الرحيم العباسي (٤٥/٢/١٤) :

١٠٦٩ أرعشني الدهر أيّ رَعَشٍ وكنتُ ذو قوةٍ وبَطْشٍ
١٠٧٠ قد كنتُ أمشي ولستُ أعيا فصرتُ أعيا ولستُ أمشي !

ومع الكبر يضعف السمع والبصر : أما عن ضعف السمع فيقول عوف بن محم لمحمد لعبد الله بن طاهر يشكو ضعف سمعه من الكبر (٤٥/٢/١٤) :

١٠٧١ إن الثمانين - ويُلَغَّتْها - قد أحوجت سمعي إلى ترجان

ويقول الغزوي (١٢٧/٧/٤٥) :

١٠٧٢ طولُ حياةٍ مالها طائلُ نَعَصَ عندي كُلُّ ما يُشْتَهَى
١٠٧٣ أصبحتُ مثلَ الطفلِ في ضعفهِ تشابهَ المبدأ والمنتهى
١٠٧٤ فلا تُلَمُّ سمعي إذا خانني «إن الثمانين ويُلَغَّتْها»

ويلاحظ أن المراد من التضمين هنا تمام البيت « قد أحوجت سمعى إلى ترجان » وإنما تركه لأن أول البيت يدل على اشتهاؤه ، وهو البيت الذى أوردناه أعلاه تحت رقم ١٠٧١ وأما عن ضعف البصر فقد قال بعض المحدثين (٣٦١/٢/١) :

١٠٧٥ يَحْيِيَّ عَضْوًا فَعَضُّوا فَلَمْ يَدَعْ صَحِيحًا سِوَى اسْمِي وَحَدَّهُ وَلِسَانِي
١٠٧٦ وَلَوْ كَانَتْ الْأَسْمَاءُ يَدْخُلُهَا الْبَلَى إِذَنْ بَلَى اسْمِي لَامْتَدَادَ زَمَانِي
١٠٧٧ وَمَالِي لَا أَبْلَى لِسَبْعِينَ حَجَّةً وَسَبْعَ أَتَتْ مِنْ دُونِهَا سِتَانِي
١٠٧٨ إِذَا عَنَّ لِي شَيْءٌ تَحِيلَ دُونَهُ شَبِيهُ ضَبَابٍ أَوْ شَبِيهُ دُخَانِ

ويقول حميد بن ثور الهلالي (٣٦١/٢/١) :

١٠٧٩ أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلِمَا

وقد يضعف السمع والبصر معاً ، كقول ابن أبي فتن يصف الكبر (٣٦٠/٢/١) :

١٠٨٠ مِنْ عَاشَ أَخْلَقَتْ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ وَخَانَهُ ثِقَاتُهُ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

ومن أحسن ما قيل فى وصف ما يفعله المشيب والكبر بالمرء من ضعف فى الجسم كله ، وضعف فى السمع والبصر ، قول محمود سامى البارودى (١٥/٣١) :

١٠٨١ أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي وَكَسَانِي خَلَعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجَلْبَابِ
١٠٨٢ وَلَوْ شَعَرَ حَاجِبِي عَلَى عَيْدِ نَيِّ حَتَّى أَطْلَّ كَالْهَدَّابِ
١٠٨٣ لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيَالِ كَأَنِّي فِي ضَبَابِ
١٠٨٤ وَإِذَا مَادُعَيْتُ صِرْتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
١٠٨٥ كُلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي نِيَّةً لَا تَقْلُهَا أَعْصَابِي

ولهذا كله اعتبر الكبر عيباً ؛ كما اعتبر المشيب عيباً ، فيقول الشاعر (٣٠٩/١/٥٥) :

١٠٨٦ خُبِرْتُ زَوَارَهَا قَالُوا وَمَاعِلَمُوا عَيْبٌ وَشَيْبٌ وَشَيْخٌ مَالَهُ نَعَمٌ

ولهذا كله أيضاً كان الكبر فى بعض الأحيان معيرة يعبره المرء ، كقول أسماء (٤٧٤/٨) :

١٠٨٧ عَيَّرْتَنِي خَلَقًا أَبْلَيْتَ جِدَّتَهُ وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيدًا لَمْ يَعُدْ خَلَقًا ؟

وقول الأنخل لنابغة بنى جعدة يعبره الكبر ؛ وإنما هو شاب حديث السن (٢٧٨/١/١٤) :

١٠٨٨ لقد جازى أبو ليلي بقمّم ومُتَكثِر عن التقريب وإن

١٠٨٩ إذا هبط الخبار كبا لفيه ونخرّ على الجحافل والحيران

وينفى النابغة الجعدي تهمة الكبر عن نفسه فيقول (٢٣٣/٢٩) :

١٠٩٠ ألا زعمت بنو سعدٍ بأنّي - ألا كذبوا - كبير السنّ فإنّ

ومما يصاحب الكبر الملل والسأم من طول العمر ومدّ الزمان ، وفي هذا يقول أبو العلاء المعري

(١٧٠٢/٤/١١ - ١٧٠٣) :

١٠٩١ مدّ الزمانُ وأشوتني حوادثه حتى مللتُ وذمّت نفسي العُمرا

١٠٩٢ وحلّت كلّى سوى شيبٍ تجاوزني ولم يُبيّض على طول المدى الشعرا

ويقول أبو العلاء أيضاً في مطلع قصيدة يحيب فيها شاعراً مدحه يعرف بأبي الخطاب الجبليّ

(٧١٥/٢/١١ - ٧١٦) :

١٠٩٣ أشفقتُ من عبء البقاء وعابه ومللتُ من أُرّي الزمانِ وصابه

١٠٩٤ ووجدتُ أحداث الليالي أولعتُ بأنخي الندى تشنيه عن آراه

ومثل هذا قول زهير (٧١٦/٢/١١) :

١٠٩٥ سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعيشُ ثمانين حَولاً لا أبالك يسأم

غير أن الملل قد لا يكون مللاً من الحياة ؛ وإنما يكون مللاً من الضعف الذي يأتي به الكبر :

كقول أبي الطيب المتنبي (٣٣٩/٤/٤) :

١٠٩٦ وإذا الشيخُ قال أفّ فاملِّمْ حياةً وإنما الضعفُ مللاً

١٠٩٧ آلة العيشِ صحة وشباب فإذا ولّيا عن المرء ولّى

وعن الملل من الحياة ومما حلّ من آيات الكبر يحدثنا الشاعر السعودي المعاصر محمد حسن

الفيّ . (٨/٤٢١٥/٥٣) من قصيدة له من أربعة وثلاثين بيتاً بعنوان «رفيقة اللهو» فيقول :

١٠٩٨ أرفيقتي في اللهو قد جزعت نفسي ورثق صفوها الملل

١٠٩٩ ماعدت مفتوناً بمن قدموا أو عدتُ مشتاقاً لمن رحلوا

١١٠٠ إن كان عندك للهوى أملٌ يهفو فما عندي له أملٌ

١١٠١ ذهب الشباب فما يخالجنى بعد الشباب هوى ولا عدلٌ

١١٠٢ ماذا يرجي من كهولته ومن الهوى والحسن . . مكتهل ؟
 ١١٠٣ أكون لي بشيبي خطل ويكون لي بكهولتي خطل ؟
 ١١٠٤ ولئن صبت لسوف يعصمني عجز ، وسوف يصدني كسل

ويقول :

١١٠٥ أرفيقي في اللهو معذرة مني إليك فإنني طلل
 ١١٠٦ قد كدت أذهب في الوري مثلاً لو كان ينفع عندهم مثل !

ويقول :

١١٠٧ فتجنني سبلي فربتما ضاقت علي بمفردى السبل

ومن مساوي الكبر أنه يذهب بالمسرة وطيب العيش : كقول الشاعر (٣٥٨/٢/١) :

١١٠٨ إذا عاش الفتى سبعين عاماً فقد ذهب المسرة والغناء

وقول ربيع بن ضبع الفزاري في هذا المعنى (٣٣٢/١/٥٥) :

١١٠٩ إذا عاش الفتى المائتين عاماً فقد ذهب اللذاة والفتاء

وقول أبي العتاهية (٢١٤/٢٩) :

١١١٠ أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه خطر
 ١١١١ إذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر

وإن هذه المعاناة التي تصحب الكبر لتدفع بالشاعر إلى تمنى الموت ، فنسمع زهير بن خباب أحد المعمرين الذي يقال : إنه عمر مائة وخمسين سنة - يذم الكبر وطول الحياة فيقول (١٢٨/٣/٥) :

١١١٢ الموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه
 ١١١٣ من أن يرى الشيخ البجا ل إذا تهادى بالعشيه

ويرى الشعراء أن من مساوي الكبر تعذر التعليم أو التأديب فيه ، فيقول الخبل السعدى (٢٦٠/٢/١ ، ١٩٧/٣/٣) ، ويقال إن البيت لغيره :

١١١٤ إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فطلبها كهلاً عليه عسر

وهم يرون رأى الحكماء حين يقولون : ما أشد خطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم ! فيقول
صالح ابن عبد القدوس (٢٦٠/٢/١ ، ٢٥٣/١٣) :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ١١١٥ وإن من أدبته في الصبا | كالعود يُسقى الماء في غرسه |
| ١١١٦ حتى تراه مورقاً ناضراً | بعد الذي أبصرت من يبسه |
| ١١١٧ والشيخ لا يترك أخلاقه | حتى يوارى في ثرى رمسه |
| ١١١٨ إذا ارعوى عاد له جهله | كذى الضنى عاد إلى نكسه (٣١) |
| ١١١٩ ماتبلغ الأعداء من جاهل | ما يبلغ الجاهل من نفسه ! |

وقال ابن دريد (١٠٤/٣) :

١١٢٠ والشيخ إن قومته من زيغ لم يُقم الثقيف فيه مالتوى !

وقالت إحدى نساء العرب تشكو ابنها (٢٠٣/٢٩) :

١١٢١ أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شبيبي يبغي عندي الأدبا !

وقال الشاعر (٢٠٦/٤١) :

١١٢٢ قد ينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وإذا كان المشيب يرتبط في وجدان الشاعر والموت ، (انظر ٢ - ب - ٤) فإن الكبر يدنيه
منه ، فيقول الغزالي (٣٦١/٢/١) :

| | |
|----------------------------------|--------------------------|
| ١١٢٣ أصبحت والله محموداً على أمي | من الحياة قصير غير ممتد |
| ١١٢٤ حتى بقيت بحمد الله في خلف | كأنني بينهم من وحشة وحدي |
| ١١٢٥ وما أفارق يوماً من أفارقه | إلا حسبت فراقى آخر العهد |

ويقول أبو العتاهية (١٠٨/٤١) :

| | |
|--------------------------------|-----------------------|
| ١١٢٦ ابن ذى الابن كلما زاد منه | مشعر زاد في فناء أبيه |
| ١١٢٧ ما بقاء الأب الملمح عليه | بديب البلى شباب بنيه |

وفي معناه ما حكى عن زر بن حبیش أنه قال وقد حضرته الوفاة وكان قد عاش مائة وعشرين
سنة (١٠٨/٤١) :

(٣١) جاء في الوسيط ٢٥٣/ « عاد إلى جهله » .

١١٢٨ إذا الرجال ولدت أولادها وارتعشت من كبر أجسادها
١١٢٩ وجعلت أسقامها تعتادها تلك زروع قد دنا حصادها !

ونجد مزاجه بين الموت والهرم في قول الشاعر (١٥٦/١/٢) :

١١٣٠ لا طيب للعيش مادامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم

وفي قول التميمي (٤٨٣/٨) :

١١٣١ إذا كانت السبعون سنك لم يكن لدائك إلا أن تموت طيباً
١١٣٢ وإن امرأ قد سار سبعين حجة إلى منهل من ورده لقريب
١١٣٣ إذا ماضى القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

وفي قول أبي عمران موسى بن عمران المارثلي (١٣٧/٥٦) :

١١٣٤ أمن بعد سبعين أرجو البقاء وسبع أتت بعدها تعجل
وثمة أبيات تجمع بين هذا كله مما يصيب الشعر والجسم ، وقصور الخطو وانحناء الظهر ، ثم
توقع الموت في النهاية ؛ إذ يقول الشاعر (٣٦١/٢/١ - ٣٦٢) :

١١٣٥ يا من لشيخ قد تحدد لحمه أفنى ثلاث عائم ألوانا
١١٣٦ سوداء حالكة وبرد مفوف وأجد لونا بعد ذاك هجانا
١١٣٧ قصر الليالي خطوه فتداني وحنين قائم صلبه فتحاني
١١٣٨ صحب الزمان على اختلاف فنونه فأراه منه شدة وليانا
١١٣٩ والموت يأتي بعد ذلك كله وكأنما يعنى بذلك سوانا

ويلاحظ أنه قد وردت في عيون الأخبار (٣٢٥/٢) أبيات مشابهة وإن اختلفت في بعض ألفاظها وفي ترتيبها .

والكبر إما أن يؤدي بالمرء إلى الارعواء ، أو إلى الضلال ، وليس كضلال الكهولة ضلال

يقول حافظ جميل الشاعر العراقي ، يصف عهد الكهولة بأنه مآثم (٨١/٣١) :

١١٤٠ خلّت الشباب طريق كل ضلالة عمياء تُنذِرُ بالمصير المظلم
١١٤١ حتى إذا استخلفته بمضلل أقوى على التضليل منه وأعظم
١١٤٢ باركتُ شيطان الصبا وترحمتُ نفسي على مترقي مترحم
١١٤٣ فكأنني وارىت عهد شيبتي ليظلّ عهد كهولتي في مآثم

يبد أن من الشعراء من يدافع عن الكبر ويقرنه بالحكمة وعدم الوقوع فريسة للخديعة كقول
سحيم ابن وثيل الرياحي من قصيدة مشهورة له (٣٣٢/٣/١٠) :
١١٤٤ وماذا يدري الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين؟ (٣٢)

وهؤلاء يرون أن الضعف والكبر لا يحولان بين المرء وبين الطموح والآمال العراض ؛ فالشباب
شباب القلب ، وفي داخل كل رجل كبير قلب شاب ، ومن ثم نسمع البهاء زهير يقول وقد
تقدمت به السن (٨٧/٢/١٦) :

| | | |
|------|---------------------|--------------------|
| ١١٤٥ | قالوا كبرت عن الصبا | وقطعت تلك الناحية |
| ١١٤٦ | فدع الصبا لرجاله | واخلع ثياب العارية |
| ١١٤٧ | ونعم كبرت وإنما | تلك الشائل باقية |
| ١١٤٨ | وتفوح من عطفى أن | فاس الشباب كاهية |
| ١١٤٩ | ويميل بي نحو الصبا | قلب رقيق الحاشية |
| ١١٥٠ | فيه من الطرب القدي | سم بقية في الزاوية |

ويقول الشاعر (٣٢٠/٢/١) :

١١٥١ ياهند هل لك في شيخ فتى أبداً ؟
وقد يكون شباب غير فتان (٣٣)

ويقول آخر (٣٢٠/٢/١) :

١١٥٢ وفتى وهو قد أناف على الخمر
سين يلقاك في ثياب غلام !

ويقول أبو الطيب في هذا المعنى أيضا (١٥٩٢/٤/١١) :

١١٥٣ وشيخ في الشباب وليس شيخاً
يسمى كل من بلغ المشيبا

ويقول العقاد (١٠٤/٢٥) :

١١٥٤ قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل
دون الثلاثين قد ساواك في الهرم !

وإن هذا التناقض بين التقدم في السن وما يصحبه من آيات الكبر ، وبين ما يحيش به القلب
الشاب من طموح وآمال ليحدث صراعاً في نفس الشاعر ، فنراه في حيرة وتعجب من هذا

(٣٢) ورد في مجالس ثعلب ٢١٣/١ لفظ « يبتنى » بدلا من « يدري » ولفظ « رأس » بدلا من « حد » .

(٣٣) ورد هذا البيت في شروح سقط الزند ١٥٩١/٤ مبتدئا بكلمة « ياعز » بدلا من « ياهند » .

التناقض في حياته ؛ وهو ما يعبر عنه الشاعر السعودي المعاصر علي زين العابدين في قصيدة طويلة تبلغ ثلاثة وأربعين بيتاً بعنوان «طموح وتطامن» يقول فيها (٥٤/٥٢٨٥/٥) ، الأبيات ٣ - (١٣) :

- | | |
|-------------------------------------|---------------------------------|
| ١١٥٥ ولكني هرمتُ ولأنَّ عظمي | فهل في الطوق تحطيمُ الصَّعابِ ؟ |
| ١١٥٦ أرى للنفسِ آمالاً عِراضاً | وللقلبِ الفتى مُنى الشباب |
| ١١٥٧ وللعزمِ القوى شواظِ نارٍ | توقدُ في اشتعالٍ والتهابِ |
| ١١٥٨ كَأني لم أكن إلا فتياً | يموج فؤاده موجَ العباب |
| ١١٥٩ فيا هذا التناقضُ في حياتي ! | شباب القلبِ مرضوضِ الإهاب |
| ١١٦٠ رأيتَ العمرَ لم يعجزْ فؤادي | ولم يُخمدْ طموحي عن طلابي |
| ١١٦١ ترى ما السرُّ في أعماقِ نفسي ؟ | وهل مازلتُ أرقلُ في شبابي |
| ١١٦٢ أو الآمالُ في الدنيا تَمَدَّتْ | فشدَّتني لأوهامِ كِذاب ؟ |
| ١١٦٣ أراني غيرَ معترفٍ بضعفي | ولستُ بهائبٍ لُججِ العُباب |
| ١١٦٤ كَأني لم أجزْ خمسين عاماً | وأني في العزيمة كالشَّهابِ |
| ١١٦٥ عجيبٌ ما يحيشُ به فؤادي | من الآمالِ في دُنيا التَّباب ! |

وعلى النقيض من هذا نسمع إيليا أبو ماضي في مطولته الشعرية «الحكاية الأزلية» يقول على لسان شيخ «مشتعل اللمة بالي الإهاب» إنه يطلب من خالقه أن يأخذ حكمته ويردَّ عليه الشباب ، فهو يريد المني أمامه لا وراءه (٢٨٢/٤٨) :

- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| ١١٦٦ مرُّ تقف الأيام عن سيرها | فإنها تركض مثل السَّحابِ |
| ١١٦٧ وضع أمامي لاورائي المني | وطولُ الدرب وزدُ في الصَّعابِ |
| ١١٦٨ مالدتي بالماء أروى به | بل لذتي في العدو خلفَ السَّراب ! |

ويتناول الشعراء بالوصف ما يعتري المسنَّ من تغيرات نفسية ، وما يحدث من تغيرات في سلوك الناس نحوه ، ونظرتهم إليه ، ومعاملتهم له : فمن حيث التغيرات النفسية يتحدث الشعراء عن لين القناة التي كانت لاتلين ، وعن تحوُّف الرجل المسنَّ من الناس ، وكثرة حديثه عن الماضي ، وفقدانه الاهتمام بما يدور حوله ، وشعوره بأنه أصبح شخصاً عديم الجدوى :

عن لين قناة المسنَّ يقول الشاعر (٣٦١/٢/١) :

١١٠

١١٦٩ كانت قناتي لاتلين لغامز فألأنها الإصباح والإمساء !

١١٧٠ ودعوتُ ربِّي بالسلامة جاهداً ليُصحني فإذا السلامة داء !

وعن رهبة الناس يقول طرفة (٢٧٩/١٠٨/٢١) :

١١٧١ لا كبير دالِفٌ من هَرَمٍ أَرهَبُ الناس ولا كُلُّ الظُّفَرِ

وعن كثرة حديث المسنين عن الماضي يقول لبيد (٣٦٠/٢/١) :

١١٧٢ أليس ورأى إن تراخت منيتي لزوم العصا تحني عليها الأصابعُ

١١٧٣ أَخْبِرْ أخبار القرون التي مضت أدبٌ كَأني كلما قُتُّ راعٍ

فأصبحتُ مثل السيف أخلق جَفَنهُ تقادم عهد الجفن والنصل قاطعُ

وقال أعرابي في امرأة (٣٥٨/٢/١) :

١١٧٤ يا بكر حواء من الأولاد وأقدم العالم في الميلاد

١١٧٥ عمرك ممدودٌ إلى التَّنادِ فحديثنا بحديث عادٍ

١١٧٦ ومبتداً فرعون ذى الأوتاد وكيف جاء السيل بالأطوادِ ؟

ويحدثنا حسان بن الغدير عما يخالج المسن من الشعور بعدم الجدوى ، وبأنه أصبح لا يأتي بخبر

ولا يحمل خبراً فيقول (٥٠٢/٨ - ٥٠٣) ، ويلاحظ أن لفظ « واصل » جاء في ص ٢٦٦ بدلا

من واسط) :

١١٧٧ قالت أمانة يوم برقة واسطِ يابن الغدير لقد جعلت تغير

١١٧٨ أصبحت بعد زمانك الماضي الذي ذهبت شبيبته وغصنك أخضر

١١٧٩ شيخاً دعامتك العصا ومشيعاً لا تبغى خبراً ولا تُستخبر

ويقول الشاعر (٣٢٥/٩ ، ٤١٦/٢٣) :

١١٨٠ فأصبحتُ كُنْتِيَا وأصبحتُ عاجناً وشرُّ خصال المرء كنتُ وعاجنٌ^(٣٤)

ويقول قطري بن الفجاءة (٣٩/٥٧) :

١١٨١ ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع

١١٨٢ وما للمرء خيرٌ في حياة إذا ماعدٌ من سَقَطِ المتاع !

(٣٤) قال ابن الأعرابي : يقال رجل « كُنْتِي » إذا قال : كنت شاباً ، كنت شجاعاً ، كنت قويا ، أما لفظ « عجن » فيقال

« عجن الرجل إذا نهض معتمداً على الأرض من الكبر » .

ويقول ابن العباس^(٣٥) (٤٥١/٢/٥٥) :

١١٨٣ لاخير في الشيخ إذا ما جليخا وسال غرْبُ عينه ولخا

١١٨٤ وانثنت الرجلُ فكانت فخا وكان وصلُ الغانيات أنخا^(٣٦)

وأما من حيث فقدان المسنّ الاهتمام بما يجري حوله فمن أمثلته ترك التعجب من العجب ، فما من شيء أصبح يثير عجبهُ ، وفي ذلك يقول حسان بن الغدير (٥٠٣/٨) :

١١٨٥ وهلك الفتى ألا يراح إلى الندى وألا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

١١٨٦ ومن يبتغي منى الظلامة يلقي إذا مارآني أصلع الرأس أشيبا

ويلاحظ أنه قد ورد هذا المعنى في البيت الثاني من قصيدة الشاعر السعودي المعاصر محمد حسن الفقي التي سبق أن رويناهما في بداية هذا الفصل تحت رقم ١٠٩٩ وفيه يقول :

ما عدت مفتونا بمن قدموا أوعدت مشتاقا لمن رحلوا

ونجد معنى جديدا في أبيات لأحمد شوقي من مسرحية «كليوباترة» عما يصيب المسنّ من تغيرات نفسية ، وهذا المعنى يتصل بمشاعر الحسد والغيرة التي يحس بها الشيوخ نحو الشباب ! ففي هذه المسرحية نسمع «زينون» يحدث نفسه قائلا (١٨١/٢٢) :

١١٨٧ مالي جُنتُ فصرتُ أتهمُ م الشباب وأضطهدُ؟

١١٨٨ لم ألقَ رأساً فاحماً إلا حملتُ له الحسد!

١١٨٩ ووجدتُ لالعج غيرة بين الجوانح تتقد!

أما من حيث تغير سلوك الناس نحو المسنّ ، وتغير معاملتهم له ، وما يبعثه هذا كله في نفسه من مرارة وألم - فنجد خير مثال له هذه الأبيات لعبد الله بن عبد الرحمن القاسم الدينوري (٣١٣/٢/١٥) :

١١٩٠ عشت من الدهر ما كفاني ومَرَّ مامرّ من زماني

١١٩١ وقد حنتني وقوسّتي تسع وتسعون واثنتان

١١٩٢ وقد سئمتُ الحياة مما ألقى من الذل والهوان

١١٩٣ ومن أخ كنت أرتجيه لحادث الدهر قد قلاني

(٣٥) نقل البغدادى نسبة الرجز إلى العجاج وليس في ديوانه .

(٣٦) «أخ» كقولك أفأ وتنف .

١١٩٤ ومن غلام إذا يُنادى تصامم النذل وهو دان
١١٩٥ مدمدم لا أراه إلا مقطب الوجه مارآني !

وقد وجدنا أبياتاً للشاعر الهذلي ساعدة بن جؤية تتضمن معظم ماأوردناه من آيات الكبر ،
ويلاحظ أن مطلع الأبيات سبق أن أوردناه تحت رقم ١٠٠١ ولذلك لم نعطه هنا رقماً . يقول
ساعدة (١٩١/٥٠) :

٠٠٠٠ ياليت شعري ألا منجى من الهرم
١١٩٦ والشيب دائم نجيس لادواء له
١١٩٧ وسنان ليس بقاض نومة أبداً
١١٩٨ في منكبيه وفي الأصلاب واهنة
١١٩٩ إن تأتته في نهار الصيف لآثره
١٢٠٠ حتى يُقال وراء البيت متبذرا
١٢٠١ فقام ترعد كفاه بمحجنه
١٢٠٢ تالله يبقى على الأيام ذوحيد
أم هل على العيش بعد الشيب من ندم
للمرء كان صحيحاً صائب القحم
لولا غداة يسير الناس لم يقم
وفي مفاصله غمز من العسم
إلا يجمع ما يصلى من الحجم
قم لا أبالك سار الناس فاحترم
قد عاد رهبا رذيا طائش القدم (٣٧)
أدنى صلود من الأوعال ذوخدم

ويحمل المستوغر بن ربيعة آيات الكبر في أبيات قالها حين دخل على معاوية بن أبي سفيان (٣٨)
وهو مسنٌ معمر وسأله : كيف نجدك يامستوغر (٣٥٧/٢/١ - ٣٥٨) :

١٢٠٣ سلى أنبك بآيات الكبر نوم العشاء وسعال بالسحر
١٢٠٤ وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعم إذا الزاد حضر
١٢٠٥ وحذراً ازداده إلى حذر والناس ييلون كما ييل الشجر

وثمة أبيات تتضمن إشارة إلى آيات الكبر دون ذكر أي منها ، كقول النمر بن قولب
(٣٢١/٢/٤٩) :

١٢٠٦ يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل ؟

(٣٧) ورد هذا البيت في شعر الهذليين / ٢٨٦ ، على النحو التالي :

تراه ترعد كفاه بمحجنة وإن خطا فهو نضو طائش القدم

(٣٨) جاء في البيان والتبيين / ٢٠٧ وكذلك في عيون الأخبار أنه الهيثم بن الأسود بن العريان وقد دخل على عبد الملك

ابن مروان ، كما ورد البيت الأول مبتدئاً بلفظ « اسمع » بدلا من « سلى » .

وقول الكميت (٣٢١/٢/٤٩) :

١٢٠٧ لا تغبط المرء أن يُقالَ له امسى فلانٌ لسِنَّه حَكَمًا

١٢٠٨ إن سَرَّهُ طولُ عمره فلقد أضحى على الوجه طولُ ماسلما

لهذا كله كان طول العمر أمراً مذموماً ، فيقول محمد بن مناذر في رجل من المعمرين

(٣٥٨/٢/١ - ٣٥٩) :

١٢٠٩ إنَّ مُعَاذَ بنِ مسلمٍ رَجُلٌ قد ضَجَّ مِنْ طولِ عُمُرِهِ الأَبَدُ

١٢١٠ شاب رأس الزمان واكتهل الدهر م وأثوابُ عُمُرِهِ جُدُدُ

١٢١١ يانسِرُ لقمانُ كم تعيش وكم تسحبُ ذيل الحياة يالبدُ !

١٢١٢ قد أصبحتُ دار آدمٍ خربت وأنت فيها كأنك الوتدُ

١٢١٣ تسأل غربانها إذا حجلتُ كيف يكونُ الصُداغُ والرَّمَدُ ؟

البَابُ الثَّالِثُ

تَلْخِصٌ

تلخيص

وبعد فإن ما عرضناه في هذه العجالة عما جاء عن الشباب والمشيب في الشعر العربي مما يعكس نظرة الشعراء إلى قضية الزمن - هو قليل من كثير مما يزخر به التراث العربي . ولعله من المفيد أن نقدم هنا مجموعة من أبيات جامعة ، لعدد من الشعراء ، فكل مجموعة منها تشتمل على كل أو جلّ المعاني التي صنفناها في أبواب وفصول هذا الكتاب ، ولذلك رأينا أن نفرّد لها هذا الباب بحيث يكون تلخيصاً جامعاً لتلك المعاني وسنجد تلك المعاني عقب كل مجموعة وفقاً لترتيب الأبيات :

يقول علي بن جبلة من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجليّ (٣٢/١٨ ، الأبيات ١ - ١١) :

| | |
|---|---|
| ١٢١٤ رِيَعْتُ لِمَنْشُورٍ عَلَى مَفْرَقِهِ | ذَمُّهَا عَهْدُ الصَّبَا حِينَ انْتَسَبُ |
| ١٢١٥ أَهْدَامُ شَيْبٍ جُدِّدٍ فِي رَأْسِهِ | مَكْرُوهُةُ الْجَدَّةِ أَنْصَاءُ الْعُقْبُ |
| ١٢١٦ أَشْرَقْنَ فِي أَسْوَدٍ أَزْرَيْنَ بِهِ | كَانَ دُجَاهُ لَهْوَى الْبَيْضِ سَبَبُ |
| ١٢١٧ وَاعْتَقَنَ أَيَّامَ الْغَوَانِي وَالصَّبَا | عَنْ مَيِّتٍ مَطْلَبُهُ حُبُّ الْأَدَبِ |
| ١٢١٨ لَمْ يَزِدْ جِرَ مُرْعَوِيًّا حِينَ ارْعَوَى | لَكِنْ يَدٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِمُطَلَّبِ |
| ١٢١٩ لَمْ أَرِ كَالشَّيْبِ وَقَارًا يُجْتَوَى | وَكَالشَّبَابِ الْغَضُّ ظِلًّا يُسْتَلَبِ |
| ١٢٢٠ فَنَازِلٌ لَمْ يُبْتَهَجْ بِقُرْبِهِ | وَذَاهِبٌ أَبْقَى جَوَى حِينَ ذَهَبَ |
| ١٢٢١ كَانَ الشَّبَابُ لَمَّةً أَزْهَى بِهَا | وَصَاحِبًا حَرًّا عَزِيزَ الْمِصْطَحِبِ |
| ١٢٢٢ إِذَا أَنَا أَجْرَى سَادِرًا فِي غِيهِ | لَا أَعْتَبُ الدَّهْرَ إِذَا الدَّهْرُ عَتَبَ |
| ١٢٢٣ أَبْعُدُ شَأْوَ اللّٰهُو فِي إِجْرَائِهِ | وَأَقْصِدُ الْخَوْدَ وَرَاءَ الْمُحْتَجِبِ |
| ١٢٢٤ وَأَذْعُرُ الرَّبْرَبَ عَنْ أَطْفَالِهِ | بِأَعْوَجَى دُلْفَى الْمُتَنَسِّبِ |

(حلول المشيب - ذم المشيب - عزوف الغواني - عدم الارعواء - رفض الوقار - التحسر على

الشباب)

ويقول أبو صخر ، الشاعر الهذلي (٢٩١/١٩) :

| | |
|---|---|
| ١٢٢٥ بَكَرَ الصَّبَا مَنَا بِكُورَ مُزَايِلِ | عَجَلَ الشَّبَابُ بِهِ فَلَيْسَ بِغَاغِلِ |
| ١٢٢٦ بَانَا مَعًا وَتَرَكْتُ فِي مَثْوَاهُمَا | أَبْكِي خِلَافَهَا بِكَاءِ الثَّائِلِ |

- ١٢٢٧ أخوا صفاءً فارقا ببشاشة وبلدة من عيشنا وفواضل
١٢٢٨ وجنائب غدوية تندى ضحى وغياطل للهو بعد غياطل
١٢٢٩ وبيوت غزلان يهاب دخولها وهواجر موصولة بأصائل
١٢٣٠ فأناخ شيب العارضين مكانه لامرحباً بك من مقيم نازل
١٢٣١ جاوزتنا بقل للذاذات الصبا والغانيات وكل عيش شامل
١٢٣٢ قالت أثيلة قد تنقصك البلى ونكست في أطمار أشعث ناحل
١٢٣٣ أثيل إن السيف يخلق غمده ويرث وهو على غرار قاصل

(التحسر على الشباب - حلول المشيب - ذم المشيب - عزوف الغواني وملامهن - الدفاع

عن المشيب)

ويقول الشريف المرتضى (١٢/٣/٣٧٧ - ٣٧٨) :

- ١٢٣٤ هل الشيب إلا غصة في الحيازم وداء لربات الحدود النواجم
١٢٣٥ يحدن إذا أبصرنه عن سبيله صدود النشاوى عن خبيث المطاعم
١٢٣٦ تعممته بعد الشيبة ساخطاً فكان بياض الشيب شر عائمى
١٢٣٧ وهيئى منه كما هاب عائج على الغاب هبات الليوث الضراغم
١٢٣٨ حتنى منه الحانيات كأننى إذا ظلت يوماً قائماً غير قائم
١٢٣٩ وتطلع في ليل الشباب نجومه طلوع الدرارى من خلال الغمام
١٢٤٠ كائن منه كلما رمت نهضة إلى اللهو مقبوض الخطا بالأداهم
١٢٤١ وقد كنت أباء على كل جاذب فلما علانى الشيب لانت شكائى
١٢٤٢ ليل أفدى بالنفوس وأرتدى من البيض إسعافاً ببيض المعاصم

(ذم المشيب - عزوف الغواني - كراهية المشيب - آيات الكبر - التغير النفسى - البكاء على

الشباب)

ويقول أيضاً (١٢/٣/٣٧٨) :

- ١٢٤٣ نبت عينا أمانة عن مشيى وعدت شيب رأسى من ذنوبى
١٢٤٤ وقالت لو سترت الشيب عني فكم أخفى التستر من عيوبى
١٢٤٥ فقلت لها : أجل صريح ودى وإخلاصى عن الشعر الخضب

١٢٤٦ ومالك يأميم مع الليالى إذا طاولن بُدُّ من مشيب ا
 ١٢٤٧ وماتدليس شيب الرأس إلا كتدليس الوداد على الحبيب
 ١٢٤٨ فلا تلحن عليه فذاك داء عياء ضلَّ عن حيل الطبيب

(عزوف الغوانى - الحض على الخضاب - رفض الخضاب - حتمية المشيب)
 وثمة أبيات للشاعر المهجرى نعمة الحاج من قصيدة له بعنوان «شطح الزمان» وهى من الشعر
 الوصفى والتأملى أوحى بها إلى الشاعر المشيب والحياة التى تنذر بقرب النهاية ، يقول فيها
 (٤٨/٤٣٥ - ٤٣٦ ، الأبيات ٧ - ١٦) :

١٢٤٩ ياللمشيب وقد سطا سَطَوُ القوى على الضعيف
 ١٢٥٠ عَلمُ الشتاء تلوح فيه طلائعُ الحدث الخيف
 ١٢٥١ أين الشبابُ وأين ذا ك العزم كالحدِّ الرهيف
 ١٢٥٢ حالت إلى اللين الصلا بة والغضارة للنشوف
 ١٢٥٣ والقلب زايله الخفو قُ إلى رعاش كالوجيف
 ١٢٥٤ كنت العزيز من الرفا قِ فصرتُ منهم فى الطيوف
 ١٢٥٥ سبقوا صفوفاً بالرحيل ل وسوف نلحقُ بالصفوف
 ١٢٥٦ والغانياتُ إذا نظرُ ن فنظرة الطرف العزوف
 ١٢٥٧ ذكرى اللهيف على الشبا بِ أشد من وقع السيوف
 ١٢٥٨ دنيا ترحب بالضيوف فِ لكى تروغ من الضيوف

(حلول المشيب - المشيب طريق الردى - البكاء على الشباب - آيات الكبر - عزوف
 الغوانى)

ويقول ابن الرومى (١٢/٣/٣٧١ - ٣٧٢) :

١٢٥٩ أبين ضلوعى جمرةً تتوقدُ على ماضى أم حسرةً تتجددُ؟
 ١٢٦٠ خليلي ما بعد الشباب رزيةً يحم لها ماء الشئون ويعتد
 ١٢٦١ فلا تعجبا للجلد ييكى فرما تفطر عن عين من الماء جلمد
 ١٢٦٢ شباب الفتى مجلوده وعزاؤه فكيف وأنى بعده يتجددُ؟
 ١٢٦٣ وفقد الشباب الموت يوجد طعمه صراحاً وطعم الموت بالموت يفقد

- ١٢٦٤ رزئت شبابی عودة بعد بدأة
 ١٢٦٥ سُلِبْتُ سوادَ العارضين وقبله
 ١٢٦٦ وُبِدِّلْتُ من ذاك البياض وحسنه
 ١٢٦٧ لشتان مابين البياضين معجب
 ١٢٦٨ وكنت جلاء للعيون من القذى
 ١٢٦٩ هي الأعين النجل التي كنت تشتكى
 ١٢٧٠ فمالك تأسى الآن لما رأيته
 ١٢٧١ تشكى إذا ما أقصدتك سهامها
 ١٢٧٢ كذلك تلك النبل من وقعت به
 ١٢٧٣ إذا عدلت عنا وجدنا عدولها
 ١٢٧٤ كفى حَزْناً أن الشباب معجل
 ١٢٧٥ إذا حلّ جارى المرء شأوحياته
 ١٢٧٦ أيومَ الهوى هلاً مواضيك عوداً !
- وهن الرزايا باديات وعود
 بياضها المحمود إذ أنا أَمَرْدُ
 بياضاً ذميماً لايزال يسود
 أنيقٌ ومشنوقٌ إلى العين أنكدُ
 فقد جعلت تقذى بشيى وترمد
 مواقعها فى القلب والرأس أسودُ
 وقد جعلت مرمى سواك تعمد
 وتأسى إذا نكبن عنك وتكد
 ومن صرفت عنه من القوم مقصد
 كموقعها فى القلب بل هو أجهد
 قصير الليالى والمشيب مخلد
 إلى أن يضم المرء والشيب ملحد
 وهل لشباب ضلّ بالأمر منشد ؟

(البكاء على الشباب - ذم المشيب - عزوف الغواني - حتمية المشيب - البكاء على الشباب)

وللسيد محسن الأمين الحسينى العاملى صاحب معادن الجواهر مجموعة من مثل هذه الأبيات

الجامعة فهو يقول (٣٧٩/٣/١٢ - ٣٨٠) :

- ١٢٧٧ ذهب الشبابُ فما الشباب بآيب
 ١٢٧٨ ومضى مع الستين ستٌ بعدها
 ١٢٧٩ نفر الغواني مذ رأين بياضه
 ١٢٨٠ قد كان ريعان الشباب يقودها
 ١٢٨١ فالיום أضحت وهى أنفر من ظبا
 ١٢٨٢ والغيد إلف للشبيبة والغنى
 ١٢٨٣ ذهبت لَذَاذَاتُ الشباب ونغصت
 ١٢٨٤ قالوا تَعَلَّلْ بالخضاب فإنه
 ١٢٨٥ لكننى والصدق طبعى لم أمل
 ١٢٨٦ يأيها الضيف الملم بمفرقى
- وأقى المشيبُ فما المشيبُ بذاهب
 شابت لهن مفارقي وذوائبي
 من كل خرعة وبكر كاعب
 وهى الجموع إلى مقاد جنائب
 والوحش عنى نزحاً عن جانبي
 أبداً وأعداء القذال الشائب
 بيد المشيب مطاعمى ومشاربى
 بعد المشيب لسولة للخاضب
 يوماً إلى ذاك الخضاب الكاذب
 عنى صددت أحبتى وحبائبي

(التحسر على الشباب - حلول المشيب - عزوف الغواني - الحز على الخضاب - رفض الخضاب)

ويقول (٣٨٠/٣/١٢) :

| | |
|----------------------------|---------------------------------|
| وألان صرفُ الحادثات مراسي | ١٢٨٧ أفبعد مااشتعل المشيب براسي |
| هيات فالجراح شيب آسي | ١٢٨٨ أرجو من البيض الحسان مودة |
| وضرائر للشيب والإفلاس | ١٢٨٩ والغيد إلف للشيبة والغنى |
| في الناس يحسب في ذكاء إياس | ١٢٩٠ وإذا الغنى هوى فهاهة باقل |
| لأصابه بالعي والإخراس | ١٢٩١ والفقر لو أمسى لقسّ صاحباً |
| فأذلّ صعبك بعد طول شماس | ١٢٩٢ قالت علاك الشيب قبل أوانه |
| عصر وأنت من الشيبة كاسي ! | ١٢٩٣ لاجبدا عصر المشيب وجبدا |
| عجلت على فما بها من باس | ١٢٩٤ فأجبثها لاتجزعي من شيبة |
| لرجوع حلم كالأشم الراسي | ١٢٩٥ فالشيب عنوان الوقار وآية |
| ماللوقار وقدّي الميأس ؟ | ١٢٩٦ قالت وقد أبدت تبسم هازئ |

(حلول المشيب - عزوف الغواني وملاهن - الشيب المبكر - الدفاع عن المشيب - رفض الوقار)

ويقول من قصيدة له (٣٨١/٣/١٢) :

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| بنازلة على سفح الكتيب | ١٢٩٧ صبوت وهمت من بعد المشيب |
| فصدت حين لاح لها مشي | ١٢٩٨ رأت رأسي يلوح الشيب فيه |
| فأمسى الشيب من أدهى ذنوبي | ١٢٩٩ وقد كان الشباب شفيح ذني |
| هموم شيت قبل المشيب ! | ١٣٠٠ وما إن شبت من كبر ولكن |
| وما أربى من الشيب الخضيب | ١٣٠١ أدلس بالخضاب بياض شبي |
| وينصل لونه عند الغروب ! | ١٣٠٢ يروك حين تنظره صباحاً |

(عدم الارعواء - عزوف الغواني - ذم المشيب - الشيب المبكر - عدم جدوى الخضاب) .

البَابُ الرَّابِعُ

الْبَحْثُ فِي قَضِيَّةِ الزَّمَنِ

البحترى وقضية الزمن

لقد أفردنا هذا الباب - كما سبق أن ذكرنا في المقدمة - لمجموعة الأبيات التي تناول فيها البحترى قضية الزمن من حيث الشباب وما يفعله المشيب وقد وجدنا أن المعاني التي يتناولها البحترى لا تخرج عن تلك التي أحصيناها وصنفناها في أبواب وفصول هذا الكتاب ، ومن ثم فإننا سنقوم هنا بتصنيف أبيات البحترى وفقاً للترتيب الذي اتبعناه في تقسيم أبواب وفصول هذا الكتاب ، غير أننا سنكتفي بإدراجها تحت عناوينها الرئيسية تجنباً للتكرار ، مع ملاحظة أن ما جاء منها في وصف الشباب والمشيب من الناحية البيانية قد أوردناه في المقدمة .

١ - ب : مدح الشباب :

يقول البحترى في مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان (١٤٢٢/٣/٤٦) :

١٣٠٣ شرحُ الشبابُ أخو الصبا وأليفه والشيب تزجية الهوى وخفوفه

ويقول (٢٦٤١/٤/٤٦) :

١٣٠٤ أأخيب عندك والصبا لى شافعٍ وأردُّ دونك والشباب رسولى ؟

ويقول (٢٥٥٠/٤/٤٦) :

١٣٠٥ أيام غصن الشباب يهتز كال لأسمير في راحة ابن حماد

١ - د : البكاء على الشباب :

يقول البحترى (٣٩١/١/٤٦)

١٣٠٦ عاديْتُ مرآتى فأذنتها بالهجر ، ما كانت وما كنت

١٣٠٧ كانت ترينى العمر مستقبلاً وهى ترينى الفتى مذ شبت

١٣٠٨ وأعمراً ! نوحاً لفقدانه سيان عندى شبت أم مت !

ويقول من قصيدة طولها ٤٢ بيتاً يمدح بها أبا العباس بن ثوابه (١٤٤/١/٤٦) ، البيتان ١١ -

(١٢) :

١٢٦

١٣٠٩ إن تَسَلَّنِي عن الشباب المُوَلَّى فهو القارظُ انتظرتُ إِيَابَهُ
١٣١٠ غَضُّ عَيْشٍ زَالَتْ غَمَامَتُهُ عَنِّي م ومن بالغامة المنجابه

ونجده يفتتح قصيدته التي يمدح بها أبا عيسى بن صاعد بهذه الأبيات (٢٤١/١/٤٦) :

١٣١١ كيف به والزمان يَهْرُبُ بِهِ ماضى شبابٍ أَغْدَذْتُ فِي طَلَبِهِ
١٣١٢ مَقْتَرِبُ الْعَهْدِ إن أَرَمَهُ أَجْدُ مسافة النجم دون مَقْتَرِبِهِ
١٣١٣ يَرْفُضُ عَنْ سَاطِعِ الْمَشِيبِ كَمَا ارْفَضَ م دخانُ الضَّرامِ عَنْ لَهَبِهِ

وفي مطلع قصيدة مدح يقول (٢٦١/١/٤٦) :

١٣١٤ أَمْرَدُودُ لَنَا زَمَنُ «الكَيْبِ» وَغُرَّةُ ذَلِكَ الرِّشَاءِ الرِّيبُ ؟
١٣١٥ وَأَيَّامُ الشَّبَابِ مُعَقَّبَاتٌ عَلَى إِبْدَاءِ آثَامِ الْمَشِيبِ !

وفي مطلع قصيدة يمدح بها الخضر بن أحمد التغلبي نسمعه يقول (٥٩٦/١/٤٦) :

١٣١٦ بَاتَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِي جَدِيدُهُ بَيْنَ إِعْوَارِ طَالِبٍ وَوُجُودِهِ
١٣١٧ وَلَمَّا قَدْ تُقَاوِيَانِ مِنَ اللَّهِ بِوِ بَيَانٍ فِي بَيْضِ فَوْدٍ وَسُودِهِ
١٣١٨ وَعَجِيبٌ طَرِيفُ ذَا الشَّعْرِ الْأَبِ بَيْضُ أَبْدَى خُلُوقَةٍ مِنْ تَلِيدِهِ
١٣١٩ هَلْ مَبْكٌ عَلَى الشَّبَابِ بِمُسْتَعْدٍ زَرِ دَمْعِ الْأَسَى عَلَى مَفْقُودِهِ

وقال يعتذر إلى أحمد بن الحسين بن صدقة بالشام (١٢٠٣/٢/٤٦ ، الأبيات ٤ - ٧) :

١٣٢٠ صَدَيَّانَ يُمَسِّي وَالْمَنَاهْلُ جَمَّةٌ كَتَبًا يُحَلَّاءُ عَنْ ذُرَاهَا مُجْهَضًا
١٣٢١ أَنَّنِي سَبِيلُ الْغَيِّ مِنْكَ وَقَدْ نَضَا مِنْ صَبْغِ رِيْعَانِ الشَّبِيَةِ مَانِضًا ؟
١٣٢٢ يَا لَيْتَ شَعْرِي ! هَلْ يَعُودُ كَمَا بَدَا زَمَنُ التَّصَابِي أَوْ يَحْيَى كَمَا مَضَى ؟
١٣٢٣ كَانَتْ لِيَالِي صَبُوءٍ فَتَقَطَعْتُ أَسْبَابُهَا وَأَوَانُ لَهْوٍ فَانْقَضَى !

وقال يمدح أبا العباس بن بسطام (٢٩٦/٤/٤٦ ، البيتان ٦ - ٧) :

١٣٢٤ أَلَلِّشِيَّةَ لَمَّا كَانَ آخِرُهَا خَلْفِي ، وَلِلشَّيْبِ لَمَّا كَانَ قُدَّامِي
١٣٢٥ هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌ بِي فَرَاجِعَةٌ أَيَّامُهُ لِي فِي أَعْقَابِ أَيَّامِي ؟

وقال في مطلع قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل ، وقيل يمدح أبا الخير كاتب محمد

بن يوسف (١١٩٥/٢/٤٦) :

١٣٢٦ أما الشبابُ فقد سُبِقَتْ بِغَضِّهِ
١٣٢٧ وأفاق مشتاقٌ ، وأقصر عاذِلُ
١٣٢٨ شَعْرٌ صَحَبْتُ الدهرَ حتى جاز بِي
١٣٢٩ فَعَلَى الصَّبَا الآنَ السلامُ ولوعة

وقال من قصيدة يمدح بها الشاه بن مكال (١٧٢١/٣/٤٦ ، الأبيات ٦ - ٩) :

١٣٣٠ بَانَ الشبابُ فَلَاعِينَ ولا أَثَرُ
١٣٣١ قد كَدْتُ أَخْرِجُهُ عَنْ مُنْتَهَى عَدَدِي
١٣٣٢ أَسَوَا الْعَوَاقِبِ يَأْسُ قَبْلَهُ أَمَلُ
١٣٣٣ والمرءُ طاعةٌ أَيَّامٍ تُنْقِلُهُ

وقال من قصيدة يمدح بها المعتز بالله (١٤٧٩/٣/٤٦ - ١٤٨٠ ، الأبيات ٧ - ١٠) :

١٣٣٤ قد رَأَيْتُ هَرَبَ الشَّبَابِ ، وَرَاعِي
١٣٣٥ إِمَّا تَرَيْتَنِي قَدْ صَحَوْتُ مِنَ الصَّبَا
١٣٣٦ وَذَكَرْتُ مَا أَخَذَ الْمَشِيبُ فَأَرْسَلَتْ
١٣٣٧ فَلَقَدْ أَرَانِي فِي مَخِيلَةٍ عَاشِقِي

وقال من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن صفوان العُقَيْلِي (١٤٣٧/٣/٤٦ ، الأبيات

١٠ - ١٢) :

١٣٣٨ أَرَأَيْتَ مِنْ شَبَابِي فِيضٌ مُبْتَدَلٍ
١٣٣٩ اللَّهُ أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهَا
١٣٤٠ لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَةٍ

وقال (٢٢٢٢/٤/٤٦) :

١٣٤١ بَانَ الشَّبَابُ وَكُلُّ شَيْءٍ بَائِنٌ
١٣٤٢ ظَعْنَتْ بِهِ أَيَّامُهُ وَشُهُورُهُ
١٣٤٣ ذَهَبَ الشَّبَابُ وَغَاضَ مَاءُ بَرْنَدِيهِ
١٣٤٤ دَرَسَتْ مُحَاسِنُهُ وَطَارَ غَرَابُهُ
١٣٤٥ أَيَّامٌ طَرَفُكَ لِلجَّاذِرِ كَامِنٌ

والمرءُ مُرْتَهَنٌ بِمَا هُوَ كَائِنٌ
إِنْ الْمَقِيمَ عَلَى الْحَوَادِثِ ظَاعِنٌ
فَالْيَوْمُ مِنْهُ كُلُّ وَرْدٍ آجِنٌ
وَلَقَدْ تَكُونُ لَهُ عَلَيْكَ مُحَاسِنٌ
وَالْمَوْتُ فِي حَدَقِ الْجَاذِرِ كَامِنٌ

١٣٤٦ خان الزمان أخاك في لذاته إن الزمان لكل حر خائن !

وقال يمدح الهيثم بن عثمان الغنوي (٢٠٨٧/٤/٤٦ ، الأبيات ١ - ٣) :

١٣٤٧ أكان الصبا إلا خيلاً مسلماً أقام كرجع الطرف ثم تصرّماً ؟

١٣٤٨ أرى أقصر الأيام أحمد في الصبا وأطولها ما كان فيه مدمماً !

١٣٤٩ تلومت في غي التصابي فلم أريد بديلاً به لو أن غياً تلوماً

وقال من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل (٧٥٢/٢/٤٦ - ٧٥٣ ، الأبيات ٧ - ١١) :

١٣٥٠ خلقت العيش في المشيب وإن كان ن نصيراً ، وفي الشباب جديده

١٣٥١ ليت أن الأيام قام عليها من إذا ما انقضى زمان يعيده

١٣٥٢ ولو أن البقاء يختار فينا كان ماتهم الليالي تشيده

١٣٥٣ شيختني الخطوب إلا بقايا من شباب لم يبق إلا شريده

١٣٥٤ لاتنقب عن الصبا ، فخليق إن طلبناه أن يعز وجوده

وقال يمدح الحسين بن محمد الطائي ، وتروى في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

(١٧٧٥/٣/٤٦ ، البيت الثامن) :

١٣٥٥ وقد خبر الشيب الشيبة أنها تقضت ، وأنى ماسيلي سبيلها !

٢ - أ : حلول المشيب :

وقال من مطلع قصيدة يمدح عبد الله بن الحسين بن سعد (٥٠٩/١/٤٦) :

١٣٥٦ غلّس الشيب أو تعجل ورده واستعار الشباب من لا يرده

١٣٥٧ لاتسلى عن الصبا بعدما صوح م روض الصبا وأنهج برده

١٣٥٨ ومعاض المشيب يغدو فيستخ سلق من عشنا الذي نستجده

وقال من مطلع قصيدة يمدح بها الخضر بن أحمد التغلبي (١٠٩٩/٢/٤٦) :

١٣٥٩ هزيع دجى في الرأس بادره بدر وليل جلاه لاصباح ولا فجر

١٣٦٠ ولمة مشتاق ألم مشيبها على حين لم يود الشباب ولا العمر

١٣٦١ فقصرك إن الشيب من عدل حكميه وإن كان جوراً أن يقال لك القصر

وقال من قصيدة يمدح بها محمد بن طاهر (١٢٧٦/٢/٤٦ ، الأبيات ٦ - ٨) :

١٣٦٢ وكنْتُ أُرَجِّي في الشباب شفاعَةً وكيف لبأغى حاجةً بشفيعه
١٣٦٣ مشيبٌ كنْتُ السَّرَّ عَى بحمله مُحَدَّثُهُ أو ضاقَ صدرُ مُذيعه
١٣٦٤ تلاحق حتى كاد يأتى بطيئهً بحثُ الليالى قبل أتى سريعه

وقال وهو يمدح أبا العباس بن بسطام (١٩٨/٢/٤٦ ، الأبيات ٧ - ٩) :
١٣٦٥ تَزِيدُنِي الأيام مغبوط عيشةً فينقصني نقص الليالى مرورها
١٣٦٦ وألحقني بالشيبي في عقر داره مناقِلُ في عرض الشباب أسيرها
١٣٦٧ مضت في سواد الرأس أولى بطالتى فدعنى يُصاحِبَ وَخَطَ شَيْبَى أخيرها

وقال من قصيدة يمدح بها أبا صقر (٤١٧/١/٤٦ ، البيتان ٢٠ - ٢١) :
١٣٦٨ يظن العدى أنى فنيْتُ، وإنما هى السَّنُّ في بُرْدٍ من الشيب منهج
١٣٦٩ نضوت الصِّبا نضو الرداء وساءنى مُضِيٌّ أخى أنسٍ متى يَمُضُ لايجى

٢ - ب : ذم المشيب :

وينسب إلى البحتري قوله (٢٥٠٥/٤/٤٦) :
١٣٧٠ علَّنى أحمدٌ من الدُّوشابِ شربةً نَغَصَتْ سوادَ الشبابِ
١٣٧١ لوترانى وفى يدي قدح الدُّو شاب أبصرت بازياً وغُرابٌ^(٣٩)

وقال البحتري (٢١٦٢/٤/٤٦) :

١٣٧٢ منزلٌ هاج لى الصبابة والشيب بٌ قرينى فيها : وساء قرينا

وقال فى كراهية المشيب لسوء منظره وهو البيت الذى أخذه عنه المتنبى وأوردناه تحت رقم
٢٩٣ (١٧٩/٣/٣) :

١٣٧٣ وددتُ بياض السيف يوم لقينى مكان بياض الشيب كان بمفرقى

وقال من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان (١٨١١/٣/٤٦ ، الأبيات ٨ - ١٠) :
١٣٧٤ تلف الحلم أن يُطاعَ التَّصَابى وَرَدَى اللهو أن يشيب القذالُ
١٣٧٥ أبرح العيش فالمشيب قذى فى أعين البيضى ، والشبابُ جمالُ

(٣٩) جاء هذا الروى على لغة قيس التى كانت تسكن الروى مها كان ولذلك يقولون فحولٌ بدلا من فحولٍ فى بيت امرئ القيس المشهور وهكذا.

١٣٠

وقال من مطلع إحدى قصائده (٣٣١/١/٤٦) :

١٣٧٦ وراءك عنى يا عدول الأشايب بكلفة عذل بعد شيب الذوائب !
١٣٧٧ ألم تعلمى أن ليس فى الأرض مرأة تقوم على حد اعتدال المذاهب ؟

وقال من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويعاتبه (١٥٠/١/٤٦ ، الأبيات ٧ - ٩)

(المشيب ذنب) :

١٣٧٨ عنت كبدى قسوة منك ما تزال تجدد فيها ندوبا
١٣٧٩ وحملت عندك ذنب المشيب ، حتى كأنى ابتدعت المشيبا
١٣٨٠ ومن يطلع شرف الأربعين يحيى من الشيب زورا غريبا^(٤٠)

وقال من أبيات له (١٣/١/٤٦) (المشيب يذهب بالأمل) :

١٣٨١ قد تصابيت فاعذرى أو فلومى ليس شىء من الصبا من شانى
١٣٨٢ وتذكرت وافد الشيب فاستعجلت حظى فى الراح والريحان

٢ - ب - ٤ الشيب طريق الردى

قال البحترى (٨٩/٢٩) :

١٣٨٣ وأرى المنايا إن رأت بك شيبة جعلتك مرمى نبلها المتواتر

وقال (٦٥/١/٤٦) :

١٣٨٤ جلوت مرآتى ، فياليتنى تركتها لم أجل عنها الصدا
١٣٨٥ كى لا أرى فيها البياض الذى فى الرأس والعارض منى بدا
١٣٨٦ يا حسرتا ! أين الشباب الذى على تعديه المشيب اعتدى ؟
١٣٨٧ شبت فما أنفك من حسرة والشيب فى الرأس رسول الردى
١٣٨٨ إن مدى العمر قريب فما بقاء نفسى بعد قرب المدى ؟

٢ - ج : عزوف الغوانى وتعييرهن :

قال البحترى من قصيدة يمدح بها أبا الصقر (٩١٣/٢/٤٦) :

(٤٠) جاء فى أمالى المرتضى ٧٥/٣ لفظ «بلاق» بدلا من «يحيى» .

١٣٨٩ أُلِحُّ مِنَ الْغَوَانِي أَنْ تَرَى لِي ذَوَائِبَ لَا تُحَا فِيهَا الْقَتِيرُ
١٣٩٠ وَجَهْلٌ بَيْنَ فِي ذِي مَشِيبٍ غَدَا تَغْتَرُّه الرَّشَاءُ الْغَرِيرُ

وقال في مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن بدر (٢٢٥/١/٤٦) :
١٣٩١ عَهْدِي بِرَبِّكَ مَأْنُوساً مَلَاعِيَهُ أَشْبَاهُ آرَامِهِ - حُسْنًا - كَوَاعِيَهُ
١٣٩٢ يَشْبُنُ لِلصَّبِّ فِي صَفْوِ الْهَوَى كَدْرًا إِنَّ وَخْطُ شَيْبٍ أَعِيرَتْهُ ذَوَائِبُهُ
١٣٩٣ إِمَّا رَدَدْتَ عَنِ الْحَاجَاتِ مَفْتَقَدًا جَاءَ الشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ ذَاهِبُهُ

وقال من قصيدة يمدح بها إسحق بن يعقوب (٣٩١/٣/٤٦) ، البيت السابع) :
١٣٩٤ إِذَا مَا لَقِينَاهُنَّ وَالشَّيْبَ شَفَعْنَا تَغَابَيْنَ أَوْكَلَمْنَنَا بِالسَّوَالِفِ

وقال في مطلع قصيدة يمدح بها المهدي بالله (٣٦٩/١/٤٦) :
١٣٩٥ رَأَتْ وَخْطُ شَيْبٍ فِي عَذَارَى فَصَدَّتْ وَلَمْ تَنْتَظِرْ لِي نَوَى قَدْ أَجَدَّتْ
١٣٩٦ تَصَدَّ عَلَى أَنْ الْوَصَالُ هُوَ الَّذِي وَدَدْتُ زَمَانًا أَنْ يَدُومَ وَوَدَّتْ

وقال من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي ويعاتبه (١٣٩٩/٣/٤٦) ،
البيت الخامس) :

١٣٩٧ ثَنَتْ طَرْفَهَا دُونَ الْمَشِيبِ ، وَمِنْ يَشِبْ فَكُلُّ الْغَوَانِي عَنْهُ ثَانِيَةُ الطَّرْفِ

وقال من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي (٦٨٩/٢/٤٦) ، البيت الثالث) :
١٣٩٨ سَبَقَتْ بَنبُوتَهَا الْمَشِيبَ ، وَعَجَلَتْ فِي الْيَوْمِ هَجْرًا كَانَ يُرْقَبُ فِي غَدِ

ومن قصيدة يمدح بها أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ويهجو أحمد بن صالح بن شيرزاد يقول
(١٢٢٩/٢/٤٦) ، البيت الثالث) .

١٣٩٩ وَصَلَنَ الْغَوَانِي حَبْلَهُ وَهُوَ نَاشِئٌ وَقَارَضَنَّهُ الْهَجْرَانُ وَالشَّيْبُ وَاخِطُهُ

وقال من قصيدة يمدح بها بني الفصيفص (٧٧٨/٢/٤٦) ، البيتان ٨-٩) :
١٤٠٠ تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَعَادَنِي عَلَى النَّأْيِ مِنْ ذِكْرِ الْأَحْبَةِ عِيدِي
١٤٠١ وَكَانَ سَوَادُ الرَّأْسِ شَخْصًا مُحِبًّا إِلَى كُلِّ بَيْضَاءِ التَّرَائِبِ رُودِ

وقال البحترى فى مطلع قصيدة يمدح بها ابن ثوابه (٧٤٦/٢/٤٦) :

١٤٠٢ ضللاً لها ا ماذا أرادت إلى الصّدِّ ونحن وقوفٌ من فراق على حدٍّ
١٤٠٣ مزاولةً أن تخلطَ الودَّ بالقلبي ومزمنةً أن تلحقَ القربَ بالبُعدِ
١٤٠٤ رأت لمةً على بياضاً سوادها تعاقب مبيضٌ عليها ومسودٌ
١٤٠٥ فلا تسألا عن هجرها ، إن هجرها جنى الصبر يسقى مره من جنى الشهد

وقال فى مدح إبراهيم بن المدبر (٢١٢١/٤/٤٦ ، الأبيات ١ - ٣) :

١٤٠٦ أيما خلةٍ ووصلٍ قديم صرمته منّا ظباء الصريم
١٤٠٧ نافراتٍ من المشيب ، وقد كنّ م سكوناً إلى الشباب المقيم
١٤٠٨ وإذا ما الشباب بان فقل ما شئت فى غائبٍ بطيء القدوم

وقال فى مطلع قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ويذكر صلح بنى تغلب

(١٢٩٦/٢/٤٦) :

١٤٠٩ منى النفس فى « أسماء » لو تستطيعها بها وجدها من غادةٍ وولوعها
١٤١٠ وقد راعى منها الصدود ، وإنما تصدّ لشيب فى عذارى يروعها
١٤١١ حملت هواها يوم « منعرج اللوى » على كبد قد أوهنتها صدوعها
١٤١٢ وكنت تبع الغانيات ، ولم يزل يذم وفاء الغانيات تبعها

وقال فى مدح ابن الفياض (٢١٤٣/٤/٤٦ ، الأبيات ٦ - ١٠) :

١٤١٣ لو رأت حادث الخضاب لأنت وأرنت من احمرار اليرنا
١٤١٤ خلّت جهلاً أن الشباب على طو لى الليالى ذخيرة ليس تفنى
١٤١٥ وأرى الدهر مدنياً ما تنأى لضارٍ ومبعداً ما تدنى
١٤١٦ كلف البيض بالمغمّر قدراً حين يكلفن والمصغر سناً
١٤١٧ يتشاغفن بالغرير المسمى من فتاة دون الجليل المكنى

وقال من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد بن المدبر (٧٧١/٢/٤٦ ، الأبيات

: ٦ - ٨)

١٤١٨ رأت فلتات الشيب فابتسمت لها وقالت : نجوم لو طلعن بأسعد
١٤١٩ « أعاتك » ما كان الشباب مقرّب إليك فألحى الشيب إذ كان مبعدى

١٤٢٠ تزيد بن هجرأ كلما ازددت لوعة طلاباً لأن أردى فهأنذا رد

ومن قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل يقول البحري (١١٦/١/٤٦ ، البيتان ٨ - ٩) :

١٤٢١ قُلْنَ: أين الشباب؟ في عقب قوتٍ منه قولاً أعيأ على جوابه

١٤٢٢ ويموتُ الفتى وإن كان حياً حين يستكمل النفاذ شبابه

وقال من قصيدة يمدح بها أبا المعمر الهيثم بن عبد الله (٩٨/١/٤٦ ، الأبيات ٥ - ١٠) :

١٤٢٣ نأوا بأوانسٍ يرجعن رصشاً إذا فوجئن بالشعر الخضيب

١٤٢٤ أقول للمتي إذ أسرعت بي إلى الشيب: اخسرى فيه وخيبي

١٤٢٥ مخالفة بضرب بعد ضرب وما أنا واختلافات الضروب

١٤٢٦ وكان حديثها فيها غريباً فصار قديمها حق الغريب

١٤٢٧ يعيب الغانيات على شبي ومن لي أن أمتع بالمعيب؟

١٤٢٨ ووجدى بالشباب - وإن تولى حميداً - دون وجدى بالمشيب

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن أيوب الرملي (١١٢/١/٤٦) :

١٤٢٩ لا أرى « بالبراق » رسماً يحب سكنت أيها الصبا والجنوب

١٤٣٠ خلف الجدة البلى في مغايبها كما يخلف الشباب المشيب

١٤٣١ أيبس العيش بعدهن وقد يعدهد فيهن وهو غض رطيب

١٤٣٢ أسف غالب يجر جواه وعزاء متمتع معلوب

١٤٣٣ راعني ما يروع من وافد الشيب بر طروقاً ورابي ما يريب

١٤٣٤ شعرات سود إذا حُلن بيضاً حال عن وصلة الحب الحبيب

١٤٣٥ مر بعد السواد ما كان يحلو مجتناه من عيشنا ويطيب

وقال في مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي (١٣٥٥/٣/٤٦) :

١٤٣٦ خطته فلم تحفل به الأعين الوطف وكان الصبا إلهاً ففارقه الإلف

١٤٣٧ وأسلى الغواني عنه مبيض فوديه وكان يعنهن مسوده الوحف

١٤٣٨ فكم موعده أتوينه ولوينه فأوله مطل وآخره خلف!

وقال يمدح الخضر بن أحمد (١٨٥٣/٣/٤٦ ، البيتان ٣ - ٤) :

١٤٣٩ إن الغواني رددن خائبة رسائل، واعتذرن من رُسلى

١٣٤

١٤٤٠ لنبوة بي عن الصبا ثلثت جاهي . أو كبرة عن الغزل
ومن قصيدة يمدح بها بني مخلد وكاتب ابن ليثويه يقول (١٣٧٦/٣/٤٦) الأبيات

: (١٢-٩)

١٤٤١ لن ينال المشيبُ خُطوةً وُدَّ حيث يسجو لحظَّ وَيَحَوُّ طَرْفُ
١٤٤٢ وغريبٌ في الحب من لم يُصاحبُ ورقاً من جنى الشباب يرفُ
١٤٤٣ ناكِرتُه الحسناء أبيض بضاً وهوها لو كان أسود وحف
١٤٤٤ يهضم الشيب أو يرى النقص فيه أسفٌ يتبع الشباب ولهف

ويقول من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويذكر عفو المتوكل عن أهل حمص
(١٥٠٩/٣/٤٦ ، الأبيات ٩-١١) وقد سبق أن أوردنا البيت الثاني تحت رقم ١٣٧٣ ومن
ثم لم نعطه رقماً هنا :

١٤٤٥ أجِدْكَ ما وصلُ الغواني بمطمع ولا القلبُ من رِقِّ الغواني بمعتق
..... وددتُ بياض السيف يوم لقينى مكان بياض الشيب كان بمفرق
١٤٤٦ وصدَّ الغواني عن إيماض لمتى وقصَّرن عن لبيك ساعة منطقي

ويقول من قصيدة يمدح بها محمد بن الحسين بن فياض كاتب كنداج (١٢٠٧/٢/٤٦) :

١٤٤٧ ناكِرتُ لمتى وناكرتُ منها سوء هذا الأخلاف والأعواض

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها أبا جعفر أحمد بن محمد الطائي (٩٣/١/٤٦) :

١٤٤٨ أثاركي أنت أم مغرى بتعذبي ولائمي في هوى إن كان يُزرى بي ؟
١٤٤٩ عمرُ الغواني ! لقد بينَّ من كتب . هزيمةً في محب غير محبوب
١٤٥٠ إذا مددن إلى إعراضه سبياً وقين من كرهه الشبان بالشيب
١٤٥١ أمُفِلتُ بك من زهدٍ المها هرب من مرهقٍ ببوادي الشيب مقروب
١٤٥٢ يحنونه من أعاليه على أود حنو الثقاف جرى فوق الأنابيب

ويقول في مطلع قصيدة طويلة تبلغ ٥٣ بيتاً يمدح بها أبا زكريا (٣٥١-٣٥٠/١/٤٦) :

١٤٥٣ أريحيات صبوة ومشيب من سجايا الأريب شيء عجيب
١٤٥٤ وبكاء اللبيب بعد ثلاثٍ وثلاثين في البطالة حوب
١٤٥٥ فالنَّدا بالرحيل حين يُنادى بحلول على الشباب مُشيب

١٤٥٦ إِنَّ لَيْلاً تَبَسُّمُ الصَّبَحِ فِيهِ
١٤٥٧ طَالَمَا قَدْ سَحَبْتُ ذَيْلَ التَّصَابِي
١٤٥٨ لَعِباً يَسْتَدِيرُ خَلْفَ شَبَابِي
١٤٥٩ وَالْغَوَانِي وَإِنْ غَنِينَ عَفَافاً
١٤٦٠ فَتَى شَتَّ مَالٍ مِنْهَا قَضِيبُ
١٤٦١ وَلَكُمْ مَقْلَةٌ لِدَاتٍ دَلَالِ
١٤٦٢ كُنْتُ إِنْسَانَهَا فَصَرْتُ قَذَاهَا
عَنْ زَوَالِ الظَّلَامِ عَنْهُ قَرِيبُ
وَرْدَاءِ الشَّبَابِ غَضُّ قَشِيبُ
جَلَبَ الدَّهْرُ «يَنْبُ» وَ«لَعُوبُ»
يَطْبِئِينَ مِنْهُ حَسَنٌ وَطِيبُ
وَمَتَى شَتَّ هَالٍ مِنْهَا كَثِيبُ
عَقَلْتَنِي بِالْوَدِّ وَهِيَ عَرُوبُ!
مَنْ لَهَا بِالشَّبَابِ وَهُوَ رَطِيبُ؟

ويقول من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره (٤٦/٢/٧٣٥ ، الأبيات

١٠-٥):

١٤٦٣ أَخِيَّ إِنَّ الصَّبَا اسْتَمَرَّ بِهِ
١٤٦٤ تَصَدُّ عَنِي الْحَسَاءُ مَبْعَدَةٌ
١٤٦٥ شَيْبٌ عَلَى الْمَفْرَقِينَ بَارِضُهُ
١٤٦٦ تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابُ ظَالِمَةٌ
١٤٦٧ لَا عَجَبٌ إِنْ مَلَلْتُ خُلَّتْنَا
١٤٦٨ مِنْ يَتَجَاوَزُ عَلَى مَطَاوِلَةِ الْعَيْدِ
سِيرُ اللَّيَالِي فَأَنْهَجْتُ بَرْدَهُ
إِذْ أَنَا لَا قُرْبَهُ وَلَا صَدَدَهُ
يَكْثُرُنِي أَنْ أَيْبُهُ عَدَدَهُ
بُعِيدَ خَمْسِينَ حَيْثُ لَا تَجِدُهُ
فَافْتَقَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مَفْتَقَدَهُ
شَيْءٌ تَقَعَّقِعُ مِنْ مَلَةٍ عَمَدَهُ

٢-٥: الدِّفَاعُ عَنِ الْمَشِيبِ

٢-٥-١: تَحْسِينُ الْمَشِيبِ

يقول البحترى من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب (٤٦/١/٨٤ ،

الأبيات ٨-١٠):

١٤٦٩ عَيَّرْتَنِي الْمَشِيبُ وَهِيَ بَدَتُهُ
١٤٧٠ لَا تَرِيهِ عَارًا ، فَمَا هُوَ بِالْشَيْبِ
١٤٧١ وَيَبَاضُ الْبَازِيَّ أَصْدَقُ حُسْنًا
فِي عِذَارِي بِالْصَّدِّ وَالْاجْتِنَابِ
بِـ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ
إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغَرَابِ

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي

(٤٦/٣/١٤٨٥-١٤٨٦):

١٤٧٢ ها هو الشيبُ لائماً فأفريقي
 ١٤٧٣ فلقد كفَّ من عناء المعنى
 ١٤٧٤ عدلتنا في عشقها «أم عمرو»
 ١٤٧٥ ورأى لمةً ألمَّ بها الشيب
 ١٤٧٦ ولعمري الولا الأفاحي لأبصر
 ١٤٧٧ وسوادُ العيون لو لم يُحسن
 ١٤٧٨ ومزاجُ الصهباء بالماء أملئ
 ١٤٧٩ أي ليلٍ يهني بغير نجوم
 واتركيه إن كان غير مفيد
 وتلافى من اشتياق المشوق
 هل سمعتم بالعاذلِ المعشوق؟
 سبُ فريعت من ظلمةٍ في شروق
 ت أنيق الرياض غير أنيق
 بياض ما كان بالموموق
 بصبح مستحسن وعُوق
 أم سحابٍ يندى بغير بروق؟

وقال يمدح الشيب (١٦٨١/٣/٤٦):

١٤٨٠ بكرت تعيرني «نوار» سفاهةً
 ١٤٨١ ويكُمُّ بياضُ الصبح أحسن منظرًا
 ١٤٨٢ وهل اسودادُ العلو يكمل حسنه
 ١٤٨٣ والصارمُ المصقول أحسن حالةً
 ١٤٨٤ والشمس لولا ضوءها ما استحسنت
 وضح المفاوق وبيضاض المسحلي
 في العين من ظلماء ليل الليل
 في الطرف إلا ببيضاض الأسفل
 يوم الوغى من صارم لم يُصقل
 والبدر لولا نوره لم يحمل

ويمضي البحترى في تحسين المشيب فيتحدث عن كونه لا يحول دون البلاء في ساعة الوغى ،
 كقوله من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القمي (١٧٦٩/٣/٤٦) ، البيت
 (٢٤):

١٤٨٥ تحسب الشيب في الوقعة شبا نأ إذا صافح الصَّقيلُ الصَّقيلا

كما يصف كيف يحول المشيب المرء إلى النهي ، فيقول في مدح أبي الحسن بن عبد الملك بن
 صالح الهاشمي (١١٣٥/٢/٤٦ - ١١٣٦) ، الأبيات ١٠ - ١٢):

١٤٨٦ اليوم حولني المشيبُ إلى النهي وذلتُ للعزالِ بعد شماس
 ١٤٨٧ ورفعت من نظري إلى أهل الحجا ولويتُ عن أهل الغواية راسي
 ١٤٨٨ ورضيت من عودِ البخيل وبدئه باليأس لو نفع الرضا باليأس

غير أن البحترى ، مثله في ذلك مثل سائر الشعراء يرفض هذا النهي الذي يأتي به المشيب ،

١٣٧

ونسمة يقول في ختام قصيدة يمدح بها أبا عيسى العلاء بن صاعد (١٢٧٣/٢/٤٦) ، البيتان ٤٩ - ٥٠ :

١٤٨٩ أثائبٌ حِلْمٌ أم أفول شبيبةً خلّت ، وأقى من دونها الشيبُ أجمعُ
١٤٩٠ وما خيرُ يومٍ الذي أزعُ الصبا له وأحلى بالنهي وأمتع !

وهو أيضاً يتحدث عن أن المشيب يدعو إلى الارعواء ، ونراه يحض عليه ، وكذلك يعنف نفسه لأن المشيب لم يجعله يرعوى ، وكل هذه المعاني قد عالجتاها في ٢ - د - ١ من هذا الكتاب . أما عن الارعواء فيقول البحري من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي (٢٩٥/١/٤٦) ، البيتان ١٢ - ١٣ :

١٤٩١ ولقد علمت - وللمحب جهالة - أن الصبا بعد المشيب تصاب
١٤٩٢ وأما لو أنّ الغدر يحمل في الهوى لسلوتُ عنك وفي بعض شبابي

ويقول (٢٠١٦/٤/٤٦) :

١٤٩٣ وفي بقايا الفؤاد نارٌ توقد في قلب مُستهم
١٤٩٤ وقد نهاني عن الغواني ما أخذ الشيب من عرامي
١٤٩٥ خمسين أبلت في التصابي كهلاً ، وفي دولة الغلام

وقال في مطلع قصيدة يرثي بها أبا العباس بن ميكال أبا الشاه (١٨٦٢/٣/٤٦) :

١٤٩٦ تَقْضَى الصَّبا إِلَّا تَلُومَ رَاحِلٍ وأغنى المشيب عن ملام العواذِلِ
١٤٩٧ وتأبى صروف الدهر سوداً شخوصها على البيض أن يحظين مني بطائل
١٤٩٨ يحاولن مني صبوةً ، وإخالي أبا شغلٍ - عما يحاولن - شاغلٍ

وقال يمدح إسماعيل بن بلبل (٢٠١٣/٣/٤٦) ، البيت الثاني :

١٤٩٩ وما يُعَدَّرُ الموسومُ بالشيب أن يرى معارَ لباسٍ للتصابي ولا وسم

وقال من قصيدة يمدح بها أحمد بن طولون ، ويذكر هرب لولو ودخوله بغداد

(١٢٣/١/٤٦) ، البيت الخامس :

١٥٠٠ ومن أين أصبو بعد شبي ، وبعدهما تألى الخلى أن ذا الشيب لا يصبو ؟

وقال من قصيدة يمدح بها إسحق بن إسماعيل بن نوبخت (٤٦/١/٢٤٦ - ٢٤٧ ، الأبيات

: (١٢-١٠)

١٥٠١ كانت فنون بطالة فتقطعت
عن هجر غانية ، ووخط مشيب
١٥٠٢ إما دنوت من السلو سرياً
فيه ، وبعت من الشباب نصيب
١٥٠٣ فلربما لبث داعية الصبا
وعصيت من عدل ومن تأنيب

ومن قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد ، ويقال هي في أبي الصقر إسماعيل بن بلبل ،

يقول البحرى (٤٦/٢/٨٧٠ ، الأبيات ٧-٩) :

١٥٠٤ وباقي شباب في مشيب مغلب
عليه اختناء اليوم يكثره الشهر
١٥٠٥ وليس طليق القوم من راح أو غدا
يسوم التصابي والمشيبي له أسر
١٥٠٦ تطاوحني العصران في رجويها
يسيني عصر ، ويعلقني عصر

ويمضي البحرى في الحديث عن وجوب الارعواء بعد المشيب ، ويحضر عليه ، فيقول في

مطلع قصيدة أخرى يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد (٤٦/٢/١٢٤٨) :

١٥٠٧ يزداد في غي الصبا ولعمه
فكأنما يغريه من يزعه
١٥٠٨ وإذا تقول : الصبر يحجزه
ألوى بصبر متيم جزعه
١٥٠٩ ولقد نهى - لو كان منتهياً -
فود ينزع شبيه نزعته
١٥١٠ ما لبث ريعان الشباب إذا
نذر المشيب تلاحت شرعه
١٥١١ والشيب فيه على نقيصته
مسلى أخى بث ومرتدعه

ويقول من مطلع قصيدة يمدح بها المعتر بالله (٤٦/١/١٠٨) :

١٥١٢ أبعد الشباب المتضى في الذوائب
أحاول لطف الود عند الكواعب ؟
١٥١٣ وكان بياض الرأس شخصاً مذمماً
إلى كل بيضاء الحشا والترائب

وقال (٤٦/١/٤٨٢) :

١٥١٤ وإذا مضى للمرء من أعوامه
خمسون وهو عن الصبا لم يعجنح
١٥١٥ عكفت عليه المخزيات وقلن : قد
أضحكتنا وسررتنا ، لا تبرح
١٥١٦ وإذا رأى إبليس غرة وجهه
حياً ، وقال : فديت من لم يفلح !

ويتحدث البحترى عن عدم الارعواء برغم المشيب ، فيقول فى مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل ويذكر أمر ربيعة ، ويشفع لهم إليه (٢٢٥٢/٤/٤٦) :

١٥١٧ لَبَّيْتُ فِىكَ الشَّوْقَ حِينَ دَعَانِى وَعَصَيْتُ نَهْيَ الشَّيْبِ حِينَ نَهَانِى

وقال من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر ويستهديه فرساً (٢٠٣٠/٣/٤٦) ،

البيت الثانى) :

١٥١٨ عَشَيْتُ عَنِ الْمَشِيبِ غَدَاةً أَصْبُو بِذِكْرِكَ ، أَوْصَمْتُ عَنِ الْمَلَامِ

وقال من أبيات كتب بها إلى المبرد يدعوه (١٣٢/١/٤٦) ، البيت السابع) :

١٥١٩ لَا يَرَعُكَ الْمَشِيبُ مِنْنِى فَإِنِّى مَا ثَنَانِى عَنِ التَّصَابِى الْمَشِيبِ !

وقال فى مطلع قصيدة يمدح بها أبا غالب بن أحمد بن المدبر (٢٣٠٣/٤/٤٦) :

١٥٢٠ تَعَاطَ الصَّبَابَةُ أَوْعَانِهَا لِتَعْلِيَرٍ فِى بَرَحٍ أَشْجَانِهَا

١٥٢١ وَمَا نَقَلْتُ لَوْعَتِى لَمَّةً تَنْقُلُ فِى حُدُثِ أَلْوَانِهَا

١٥٢٢ أَوَائِلُ شَيْبٍ يَشِيرُ الْعَذُولُ إِلَيْهَا ، وَيُكْبِرُ مِنْ شَانِهَا

١٥٢٣ إِذَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهَا غَلَا فِى مَقَادِيرِ أَوْزَانِهَا

١٥٢٤ وَإِلَّا تَجِدْنِى مَطِيعاً لَهَا فَلَمْ أَعْصِهَا كُلَّ عَصِيَانِهَا

٢-٥-٢ : حتمية المشيب :

من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل يقول البحترى (١١٩/١/٤٦) ، الأبيات ٢-٤) :

١٥٢٥ رُدِّى عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً إِنْ الْهَوَى لَيْسَ مِنْ شَأْنِى وَلَا أَرْجِى

١٥٢٦ جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّصْرِ مَلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِى طَلْبِى

١٥٢٧ وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِيتُهُ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ !

ويقول (٨٧/٢٩) :

١٥٢٨ وَلَمَّةٌ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجَدَّتِهَا فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لى عَنْهَا وَلَا صَفَحَا

ويقول من قصيدة طويلة تبلغ ٤٦ بيتاً يمدح بها ابن بسطام (١٣٦/١/٤٦) ، البيت ١٤) :

١٥٢٩ وَقَدْ رَدَّتْ الْخَمْسُونَ رَدَّ صَرِيمَةٍ إِلَى الشَّيْبِ مِنْ وَلَّى عَنِ الشَّيْبِ يَهْرَبُ

ويقول من قصيدة يمدح بها أحمد بن علي الإسكافي (٣٣٨/١/٤٦ ، البيتان ٦ - ٧) :

١٥٣٠ مالى وللشيب آباه ويتبعنى وللصباية أناها وتقرب^٢
 ١٥٣١ وقد حرصت على جدى يصاحبني على الشباب لو أن الحظ يكتسب

وقال من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد بن يوسف الصّامتي (١٤١٦/٣/٤٦ ، البيتان ٨ - ٩) :

١٥٣٢ وأنا المّعنف في الصباية والصبا وعليهما إن كنت غير معنف^٢
 ١٥٣٣ عَجِبْتُ لتفويف القذال وإنما تفويفه لو كان غير مفوف^٢

وقال من قصيدة يمدح بها المنتصر بالله (٨٤٨/٢/٤٦ - ٨٤٩ ، الأبيات ٤ - ٧) :

١٥٣٤ وما أنسَ لا أنسَ عهدَ الشباب و«علوة» إذ عيرتني الكبر
 ١٥٣٥ كواكبُ شيبٍ عَلِقْنَ الصبا فقللن من حسنه ما كثر
 ١٥٣٦ وإني وجدتُ ، فلا تكذبن سوادَ الهوى في بياض الشعر
 ١٥٣٧ ولا بد من تركٍ إحدى اثنتي سن : إما الشباب ، وإما العمر

وقال من قصيدة يمدح بها المعتمد على الله (٧٣٠/٢/٤٦ - ٧٣٢ ، الأبيات ٥ - ٩) :

١٥٣٨ هل أنت صارفُ شيبة إن غلست في الوقت أوعجت عن الميعاد
 ١٥٣٩ جاءت مقدمة أمام طوالع هذى تراوحنى وتلك تغادى
 ١٥٤٠ وأخو الغيبة تاجرٌ في لمة تشرى جديدَ بياضها بسواد
 ١٥٤١ لا تكذبن فما الصبا بمخلف فينا ولا زمن الصبا بمعاد
 ١٥٤٢ وأرى الشباب على غضارة حسنه وجماله عدداً من الأعداد

وفي مطلع قصيدة يمدح بها أبا صقر إسماعيل بن بلبل يقول البحري (١١٩٨/٢/٤٦ - ١١٩٩) :

١٥٤٣ ترك السوادَ للإسبه وييضاً ونضا من الستين عنه ما نضا
 ١٥٤٤ وشاهُ أغيدٌ في تصرفٍ لحظه مرضٌ أعلَّ به القلوبَ وأمرضا
 ١٥٤٥ وكأنه ألقى الصبا وجديده دينا دنا ميقاته أن يقتضى
 ١٥٤٦ أسيان أثرى من جوى وصباية وأساف من وصل الحسان وأنفضا

١٥٤٧ كَلِفُ يَكْفُفُ عِبْرَةً مُهْرَاقَةً أَسْفًا عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ وَمَا انْقَضَى
١٥٤٨ عَدَدُ تَكَامُلٍ لِلذَّهَابِ بِمَجِيئِهِ وَإِذَا مُضِيَّ الشَّيْءِ حَانَ فَقَدْ مَضَى

٢-د-٣ : الشيب المبكر :

يقول البحتري (٢٠٩٤/٤/٤٦ ، البيت الرابع) :

١٥٤٩ وَشَيْبِي أَلَّا أَزَالَ مُجْرَرًا سَرَابِيلَ سَالَ كَثِيرَ الْمَغَارِمِ

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها أبا جعفر أحمد بن محمد الطائي (١٧١٥/٣/٤٦) :

١٥٥٠ قَالَتْ : الشيبُ بدا ، قلت : أَجَلٌ سَبَقَ الْوَقْتَ ضِرَارًا وَعَجَلٌ
١٥٥١ وَمَعَ الشيبِ عَلَى عِلَاتِهِ مُهْلَةٌ لِلْهُوَ حِينًا وَالْغَزْلُ
١٥٥٢ نَحِيلْتُ أَنْ التَّصَابِي خَرَقُ بَعْدَ خَمْسِينَ ، وَمَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها سعيد بن محمد (١١٧٦/٢/٤٦) :

١٥٥٣ مَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ فَلَسْتُ بِنَاسِي عَهْدَ الشَّبَابِ إِذِ الشَّبَابُ لِبَاسِي
١٥٥٤ إِنْ الْخُطُوبَ طَوِينِي وَنَشْرَنِي عَبَثَ الْوَلِيدِ بِجَانِبِ الْقُرْطَاسِ
١٥٥٥ مَا شَبْتُ مِنْ طَوْلِ السَّنِينِ ، وَإِنَّمَا طَوْلُ الْمَلَامَةِ فِيكَ شَيْبَ رَاسِي !

ويقول من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب (٨٤/١/٤٦ ، البيت الثامن) وقد سبق

وروده تحت رقم ١٤٦٩ :

..... عَيَّرَتْنِي الْمَشِيبَ ، وَهِيَ بَدَّتْهُ فِي عِذَارِي بِالْصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ

تلخيص

وكما فعلنا في الباب الثالث نورد هنا مجموعة من أبيات للبحترى تجتمع فيها المعاني التي جاءت في سائر النماذج ، وبها نختم هذا الكتاب .

يقول البحتري في مطلع قصيدة يمدح بها علي بن مر الطائي (٩٥٣/٢/٤٦ - ٩٥٤) :

| | | |
|------|------------------------------|--|
| ١٥٥٧ | في الشيب زجر له لو كان ينزجر | وواعظ منه لولا أنه حجر ^(٤١) |
| ١٥٥٨ | ايض ما اسود من فؤديه وارتجعت | جليه الصبح ما قد أغفل السحر |
| ١٥٥٩ | وللفتى مهلة في الحب واسعة | ما لم يمت في نواحي رأسه الشعر |
| ١٥٦٠ | قالت : مشيب وعشق رحت بينهما | وذاك في ذاك ذنب ليس يغتفر |
| ١٥٦١ | وعيرتني سجال العدم جاهلة | والنبع عريان ما في فرعه ثمر |

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن الحسين بن الفياض كاتب ابن كنداج

(١٢٠٧/٢/٤٦ - ١٢٠٨) وقد سبق أن أوردنا البيت الخامس تحت رقم ١٤٤٧ :

| | | |
|------|-----------------------------|-----------------------------|
| ١٥٦٢ | لابس من شبيبة أم ناض | ومليح من شبيبة أم راض |
| ١٥٦٣ | وإذا ما امتعضت من ولع الشيب | ببرأسي لم يثن منه امتعاض |
| ١٥٦٤ | ليس يرضى عن الزمان مرو | فيه إلا عن غفلة أو تغاض |
| ١٥٦٥ | والهواقي على الليالي وإن خا | لفن شيئاً فشبّهات المواضي |
| ١٥٦٦ | ناكرت لمتى وناكرت منها | سوء هذا الأخلاف والأعواضي |
| ١٥٦٦ | شعرات أقصهن ويرجع | ن رجوع السهام في الأغراض |
| ١٥٦٧ | وأبت تركي الغديّات والآ | صال حتى خضبت بالمقراض |
| ١٥٦٨ | غير نفع إلا التعلل من شخ | ص عدو لم يعدّه إغاض |
| ١٥٦٩ | ورواء المشيب كالبخص في عي | خي فقل فيه في العيون المراض |
| ١٥٧٠ | طبت نفساً عن الشباب وما سود | م من صبغ برده الفضفاض |

(٤١) في معادن الجواهر ٣/٣٧١ جاءت هذه الاختلافات : عجز البيت الأول : « وبالغ منه لولا أنه حجر » صدر البيت

الثالث : « قالت مشيب وعشق أنت بينهما » .

ثبت مصادر الشعر

- ١ - العقد الفريد تأليف أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، بتحقيق محمد سعيد العريان .
القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى . الطبعة الأولى ، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م
- ٢ - شرح ابن عقيل تأليف بهاء الدين بن عقيل العقيلي الهمداني المصري بتحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م
- ٣ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي . القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبها ، وإدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٤٨هـ
- ٤ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي بتحقيق وشرح إيليا الحاوي . بيروت ، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى .
- ٥ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . القاهرة . مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م
- ٦ - مختار الأغاني في الأخبار والتهاني لابن منظور محمد بن مكرم . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- ٧ - اللطائف والظرائف واليوافيت في بعض المواقيت ، تأليف الشيخ أبي منصور الثعالبي ، جمعها الإمام أبو النصر أحمد المقدسي . القاهرة . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٣٤هـ .
- ٨ - البيان والتبيين للجاحظ بتحقيق فوزي عطوى . بيروت . مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨
- ٩ - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلي بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- ١٠ - المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة .

- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامى ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
- ١١ - شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م
- ١٢ - معادن الجواهر ونزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر ، تأليف السيد محسن الأمين الحسينى العاملى . دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥١ - ١٣٥٢هـ
- ١٣ - الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، تأليف الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة عشرة .
- ١٤ - العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده تأليف أبى الحسن بن رشيق القيروانى الأزدي بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . بيروت ، دار الجيل ، المطبعة الرابعة ، ١٩٧٢ .
- ١٥ - المنتخب من أدب العرب ، تأليف طه حسين وآخرين . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٣٤ .
- ١٦ - المفصل فى تاريخ الأدب العربى تأليف أحمد الإسكندرى وآخرين . القاهرة وزارة المعارف العمومية ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م .
- ١٧ - الفكاهة فى الشعر العربى تأليف فتحى محمد معوض أبى عيسى . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ١٨ - شعر على بن جبلة الملقب بالعكوك ، جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان القاهرة دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ٤٨ ، ١٩٧٢ .
- ١٩ - شعر الهذليين فى العصرين الجاهلى والإسلامى ، تأليف الدكتور أحمد كمال زكى . القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ٢٠ - الجاحظ فى حياته وأدبه وفكره ، تأليف جميل جبر . بيروت ، دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .
- ٢١ - أساس البلاغة للزمخشرى . القاهرة ، كتاب الشعب ، ١٩٦٠ .
- ٢٢ - موسيقى الشعر تأليف الدكتور إبراهيم أنيس . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ .
- ٢٣ - مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ، ترتيب محمود خاطر بك . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م .
- ٢٤ - فن الجناس تأليف على الجندى . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٤ .

- ٢٥ - الشعراء وإنشاد الشعر تأليف على الجندي . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .
- ٢٦ - لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، تأليف الدكتور عبد العزيز مطر . القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٢٧ - ابن سناء الملك . حياته وشعره ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، مراجعة الدكتور حسين محمد نصار . القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢٨ - في علمي العروض والقافية تأليف الدكتور أمين على السيد . القاهرة . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ .
- ٢٩ - البلاغة الواضحة تأليف على الجارم ومصطفى أمين . القاهرة . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .
- ٣٠ - جرير تأليف محمد إبراهيم جمعة . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، نوابغ الفكر العربي ١٩ .
- ٣١ - مع الشعراء تأليف حارث طه الراوى . القاهرة ، دار القلم .
- ٣٢ - شعراء الإسكندرية في العصور الإسلامية تأليف عبد العليم القباني . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر . مذاهب وشخصيات العدد ١٠١ .
- ٣٣ - مجلة الشعر ، العدد ١٢ ، أكتوبر ١٩٧٨ .
- ٣٤ - رواد الشعر السكندري في العصر الحديث تأليف عبد العليم القباني . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٨٢ .
- ٣٥ - فن التعبير في مختارات شعراء العرب تأليف الدكتور عبد العزيز عرفة القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٣٦ - مهرجان الشعر الأول (دمشق ١٩٥٩) . القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦٠ .
- ٣٧ - مهرجان الشعر الثاني (دمشق ١٩٦٠) . القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦١ .
- ٣٨ - مهرجان الشعر الثالث (دمشق ١٩٦١) . القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦٢ .
- ٣٩ - التصريف المملوكي لابن جني . تحقيق محمد سعيد بن مصطفى النعسان وتعليق أحمد الحفاني

- ومحيي الدين الجراج . دمشق دار المعارف للطباعة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٤٠ - العلامة اللغوي ابن فارس الرازي تأليف الدكتور محمد مصطفى رضوان . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .
- ٤١ - كتاب أدب الدنيا والدين تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، الطبعة السادسة عشرة ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م .
- ٤٢ - أمراء البيان تأليف محمد كرد علي . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م .
- ٤٣ - حضارة الإسلام في دار السلام تأليف جميل نخلة المدور . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٣٥ .
- ٤٤ - المجمل في تاريخ الأدب العربي تأليف طه حسين وآخرين . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٣٢ .
- ٤٥ - نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م .
- ٤٦ - ديوان البحترى القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ٣٤ ، ١٩٦٢ .
- ٤٧ - من حديث الشعر والنثر تأليف الدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٧٥ .
- ٤٨ - أدب المهجر تأليف عيسى الناعوري . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الأدبية ١٤ ، ١٩٥٩ .
- ٤٩ - عيون الأخبار تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .
- ٥٠ - ديوان الهذليين تحقيق أحمد زين العابدين . القاهرة . وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٥ .
- ٥١ - تاريخ الأدب العربي تأليف علي الجارم وآخرين . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٤٠ .

- ٥٢ - الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا . القاهرة ، مطابع الأهرام التجارية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠ .
- ٥٣ - المدينة المنورة ، العدد ٤٢١٥ ، الأربعاء ٨ من شهر ربيع الأول ١٣٩٨ هـ - ١٥ من فبراير ١٩٧٨ م ، الصفحة الثامنة .
- ٥٤ - المدينة المنورة ، العدد ٤٢٨٥ ، الاثنين غرة جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ - ٨ من مايو ١٩٧٨ م ، الصفحة الخامسة .
- ٥٥ - مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ١ ، ١٩٤٩ .
- ٥٦ - الفصوص الياقة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد أبي الحسن على بن موسى الأندلسي ، تحقيق إبراهيم الإياري . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ذخائر العرب ١٤ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م .
- ٥٧ - الشعر العربي والدوق المعاصر تأليف الدكتور محمد كامل حسين . القاهرة ، دار ومجلة الإذاعة والتلفزيون .
- ٥٨ - Guest, Rhuvon, **Life and Works of Ibn Er-Rumi**. London: & Co., 1944.

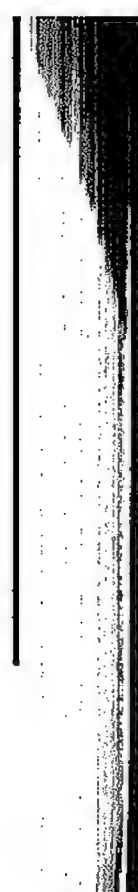


كتب أخرى للمؤلفة

- دائرة معارف الناشئين (الألف كتاب رقم ١٤٨) - دار الهلال - ١٩٥٧
- هواية جمع طوابع البريد (مترجم) - نهضة مصر - ١٩٥٧
- إنجليزى يتحدث عن مصر (مترجم) (سلسلة كتب للجميع العدد ١٢٠) - دار التحرير للطبع والنشر - ١٩٥٧
- عالمنا الذى نعيش فيه (كتاب الشعب رقم ٢١) - ١٩٥٨
- كيف نعيش اليوم؟ (كتاب الشعب رقم ٢٣) - ١٩٥٨
- لم قُدر على هذا؟ (مترجم) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - ١٩٦٠
- نحو مدارس أفضل (مترجم) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - ١٩٦٠
- القمر والشمس والنجوم (مترجم) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - ١٩٦١
- الخيط الحق (مترجم) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - ١٩٦٢
- نهاية شيء (مجموعة قصص) - دار النهضة العربية - ١٩٦٢
- ألوان من المعرفة للناشئة (مترجم) دار النهضة العربية - ١٩٦٢
- تمثيلات زجلية للأطفال - دار النهضة العربية - ١٩٦٢
- الأرض الطيبة (اخترنا للطالب العدد ٦٩) - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٢
- دائرة معارف الشباب - دار النهضة العربية - ١٩٦٣
- دراسات فى علم اللغة - دار النهضة العربية - ١٩٧٦

مؤلفات باللغة الإنجليزية

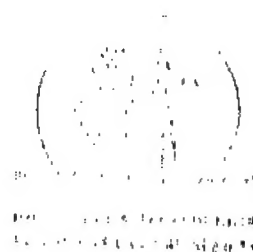
- | | |
|--|---|
| A Linguistic Study of Cairene Proverbs. Language Science Monographs. Vol. 1. | الناشر جامعة إنديانا بالولايات المتحدة - ١٩٦٨ |
| Studies in Linguistics | الناشر: دار النهضة العربية - ١٩٧٦ |
| Dictionary of Linguistics, Vols. 1—2. | الناشر: دار النهضة العربية - ١٩٧٧ |



| | |
|----------------|------------------------|
| رقم الإيداع | ١٩٨٠/٣٩٦٤ |
| الترقيم الدولي | ISBN ٩٧٧-٢٤٧-٧٣٣٤-٦٩-٩ |

١/٧٩/١٨٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



General Directorate of the Alexandrian
Library (GAL)

A Division of the Ministry

هذا الكتاب

دراسة جادة مخلصه ، تتناول موقف الشاعر العربي بل موقف الإنسان بوجه عام من قضية الزمن .
والشاعر في مواجهة الزمن يحزن حين يزحف المشيب إلى رأسه لكنه سرعان ما يطوع ذلك الإحساس الحزين ليصبح المشيب حلية العقل ، وسمه الوقار ، وحصيلة تجارب العمر .
وتتناول فصول الكتاب عرضاً وافياً لهذه القضية لدى الشعراء بشقيها : الشباب والمشيب ، كيف عبروا عنها ، وما رؤية كل منهم التي التزموها وعرفوا بها من خلال بيئاتهم وثقافتهم الخاصة . .
وبهذا تعتبر هذه الدراسة جديدة متفردة ، تقف بالقارئ على أبعاد التصور الفني لهذه القضية . .

قرش جنبه
٣٠

٧٤٩٩ / ١